وهوتوحيد الالوهية، وهو عبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله، وفعل مايحبه ويرضاه، وهو ماأمرالله به ورسوله أمرايجاب أوأمراستحباب، وترك مانهى الله عنه ورسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان . فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون مع أهل الحقيقة الدينية والا فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى ، فان المشركين يقرون بالحقيقة الكونية اذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون: الله[1] قل أفلا تتقون؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله قل فأنى تسحرون ؟) ولهذا قال سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال بعض السلف تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره

من أقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين فهو أكفر من اليهود والنصارى[2] فان أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاؤا بالامر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا .أولئك هم الكافرون حقاً)

« ١ » هذه قراءة ابي عمرو ويعقوب في الآية وما بعدها وقرأ الباقون (لله) وهي المشهورة عندنا

(٢) الاصطلاح الشرعي ان الكفر اذا أطلق انصرف الى مايقابل الاسلام ويضاده فالمراد هنا أن من المسلمين جنسية اوادعاء من يكفر بمسائل اكثرمما يكفر به اهل الكتاب. واذا اطلق الكفر في عرف هذا العصر فالمراد به الالحاد والتعطيل المطلق ولا يدخل فيه اهل الكتاب كما هو ظاهر

وأما الذي يشهد الحقيقة الكونية، وتوحيد الربوبية الشامل للخليقة، ويقر أن العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويسلك هذه الحقيقة ،فلا يفرق بين المؤمنين والمتقين الذين أطاعوا أمر الله الذي بعث به رسله، وبين من عصى الله ورسوله من الكفار والفجار ، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى . لكن من الناس من قد لحوا الفرق في بعض الامور دون بعض، بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ، ولا يفرق بين البر والفاجر ،أو يفرق بين بعض الابرار ، وبين بعض الفجار ، ولا يفرق بين آخرين اتباعاً لظنه وما يهواه .فيكون ناقص الايمان بحسب ماسوى بين الابرار والفجار ، ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب مافرق به بين أوليائه وأعدائه

ومن أقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرية كالمعتزلة وغيرهم الذين هم مجوس هذه الامة ، فهؤلاء يشبهون المجوس، وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس . ومن أقرّ بهما وجعل الرب متناقضاً فهو من أتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه

فهذا التقسيم من القول والاعتقاد . وكذلك هم في الاحوال والافعال .

فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور ، ويترك المحظور ، ويصبر على ما يصيبه من المقدور ، فهو عند الامر والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك . كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) . واذا أذنب استغفر وتاب ، لا يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات ،ولا يرى للمخلوق حجة على رب الكائنات، بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد « اللهم أنت ربي لا اله الا أنت ، خلقتني وانا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ما استطعتُ ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ، ويعلم أنه هو هداه ويسره لليسرى ، ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها، كما قال بعضهم: أطعتك بفضلك ، والمنة لك ، وعصيتك بعلمك ، والحجة لك ،

فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي ، الا ما غفرت لي . وفي الحديث الصحيح الالهي « يا عبادي انما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضع .

وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة ، حسب الاستطاعة ، لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر مايوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر ، وآخرون يشهدون القدرفقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك لكنهم لا يلتزمون أمرالله ورسوله واتباع شريعته. وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين . فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه ، والذين من قبلهم يريدون أن يعبدوه ولا يستعينوه ، والمؤمن يعبده ويستعينه

والقسم الرابع شر الاقسام وهو من لا يعبده ولا يستعينه،فلا هو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني. وانقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل وقوع المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك، وما يكون بعده من صبر ورضاء ونحوذلك. فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني ، والصبر على مايقدر عليه من القدرالكوني ، أربعة أقسام (أحدها) أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة

(والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر ، مثل الذين يمتثلون ماعليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن اذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه، وظهر هلعه

(والثالث) قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم، كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام، والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها . وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها اكثر الناس، وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون

في مثل مايهوونه من المحرمات على أنواع من الاذى والآلام. وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض أو فسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق، ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان، والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك، يصبرون على أنواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر

(وأما القسم الرابع) فهو شر الاقسام: لايتقون اذا قدروا، ولا يصبرون اذا ابتلوا، بل هم كما قال الله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا) فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم اذا قدروا، ومن أذل الناس وأجزعهم اذا قهروا. ان قهرتهم ذلوا لك ونافقوك، وحابوك واسترحموك، ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل، وان قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلبا، وأقلهم رحمة واحسانا وعفوا، كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الايمان أبعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في كثير من أمورهم[1] وان كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم، فالاعتبار بالحقائق «فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم، وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم» فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار وأعمالهم كان شبيها لهم من هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام أو ما يظهره منه بمنزلة ما معهم من الاسلام ومايظهرونه منه، بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظهرين للاسلام من هو أعظم ردة وأولى بالاخلاق الجاهلية، وأبعد عن الاخلاق الاسلامية، من التتار

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته «خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الامور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» واذا كان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد فكل من كان الى ذلك أقرب وهو به أشبه،

(١) المنار: قد ظهرت هذه الحقيقة في حرب البلقان والحرب الكبرى فكانت القسوة فيهما فظيعة لبعد اهلهما عن الايمان وهداية المسيح عليه السلام

كان الى الكمال أقرب وهو به أحق. ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه به أضعف، كان عن الكمال أبعد وبالباطل أحق. والكامل هو من كان لله أطوع، وعلى ما يصيبه أصبر، فكلما كان أتبع لما يأمر الله به ورسوله وأعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه، وصبراً على ماقدره وقضاه، كان أكمل وافضل. وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك

وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعا في غير موضع من كتابه وبين أنه ينتصر العبد على عدوه [٢] من الكفار المحاربين المعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة قال الله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال الله تعالى (لتبلوُنَّ في أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون * ها أنتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله. واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ. قل موتوا بغيظكم. ان الله عليم بذات الصدور * ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال اخوة يوسف له (انك لانت يوسف؟ قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموما

«٢» المعنى الذي يقتضيه المقام — أنه ينصر العبد الصابر على عدوه الخ وقوله بعده المحار بين المعاهدين غير ظاهر فان المعاهد غير المحارب ولعله المعاندين — أو — « والمعاهدين » بالعطف بمعنى أنه ينصر الصابرين على المحاربين بالحرب وعلى المعاهدين بالحجة والبرهان. ولاشك في كون الصبر من أسباب النصر فاذا تساوت جميع قوى الخصمين أو تقاربت وكان أحدهما صبورا والآخر جزوعا فان الفوز يكون للصبور قطعا بل كثيرا ما يغلب الصبور غيره ممن لديه من القوى الاخرى ما يفوقه به

وخصوصا فقال تعالى (واتبع مايوحي اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)
وفي اتباع ماأوحي اليه التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لامره وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) وقال تعالى (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) فهذه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر
وقرن بين الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة). وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة أيضا رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كاهل القوة والقسوة ومنهم من يرحم ولا يصبر كاهل الضعف واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كاهل القسوة والهلع. والمحمود هو الذي يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في المتولي ينبغي أن يكون قويا من غير عنف، لينا من غير ضعف، فبصبره يقوى وبلينه يرحم، وبالصبر ينصر العبد فان النصر مع الصبر، وبالرحمة يرحمه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «انما يرحم الله من عباده الرحماء» وقال «من لا يرحم لا يرحم» وقال «لا تنزع الرحمة الا من شقي» «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء» والله أعلم انتهى

﴿ الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله ﴾

بالاعمال ، و بالذوات والاشخاص

بسم الله الرحمن الرحيم

وسئل أيضاً رحمه الله تعالى هل يجوز للانسان أن يتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في طلب حاجة أم لا ؟

﴿ فأجاب ﴾

الحمد لله — أجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسأله الناس ذلك و بعد ان يأذن الله له في الشفاعة

ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لاهل الكبائر من أمته و يشفع أيضاً لعموم الخلق

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان شفاعته انما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات . ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً

وأجمع أهل العلم على ان الصحابة كانوا يستشفعون به في حياته ، و يتوسلون بحضرته ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — فيسقون

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ربما ذكرت قول الشاعر وانا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فالاستسقاء هو من جنس الاستشفاع به وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة و يطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته فينا . وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما أجدب الناس في الشام استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي رضي الله تعالى عنه وقال : اللهم انا نستشفع ونتوسل اليك بخيارنا،يا يزيدارفع يديك،فرفع (يديه) ودعا

ودعا الناس حتى سقوا ، ولهذا قال العلماء يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح واذا كانوا بهذه المثابة وهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن ، وفي سنن أبي داود وغيره ان رجلا قال انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال «ويحك أتدري ما الله؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك» فأنكر عليه قوله: انا نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله — لان الشفيع يسأل المشفوع اليه أن يقضي حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضي حوائج خلقه وان كان بعض الشعراء ذكر استشفاعه بالله في مثل قوله

شفيعي اليك الله لا رب غيره وليس الى رد الشفيع سبيل

فهذا كلام منكر لم يتكلم به عالم. وكذلك بعض الاتحادية ذكر انه استشفع بالله الى رسوله وكلاهما خطأ وضلال . بل هو سبحانه المسئول المدعو الذي (يسأله من في السموات والارض) والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به الى الله أي يطلب منه أن يسأل ربه الشفاعة في الخلق أن يقضي الله بينهم . وفي أن يدخلهم الجنة، ويشفع في أهل الكبائر من أمته ويشفع في بعض من يستحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ولا نزاع بين جماهير الامة انه يجوز أن يشفع لاهل الطاعة المستحقين للثواب ، وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لاهل الكبائر لان الكبائر عندهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها

ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار من أهل الايمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من ايمان أو مثقال ذرة والاستشفاع به وبغيره هو طلب الدعاء منه وليس معناه الاقسام به على الله والسؤال بذاته بحضوره. فاما في مغيبه أو بعد موته فالاقسام به على الله والسؤال

بذاته لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين(١) بل عمر بن الخطاب ومعاوية ومن كان يحضرهما من الصحابة والتابعين لما أجدبوا استسقوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد بن الاسود رضي الله عنهما ولم ينقل عنهم انهم في هذه الحالة استشفعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قبره ولا غيره فلم يقسموا بالمخلوق على الله عز وجل ولا سألوه بمخلوق نبي ولا غيره بل عدلوا الى خيارهم كالعباس وكيزيد بن الاسود، وكانوا يصلون عليه في دعائهم، روي عن عمر رضي الله عنه انه قال : انا نتوسل اليك بعم نبينا. فجعلوا هذا بدلا عن ذاك لما تعذر عليهم أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه

وقد كان من الممكن أن يأتوا الى قبره فيتوسلوا به ويقولوا(٢) في دعائهم في الصحراء : نسألك ونقسم عليك بأنبيائك أو بنبيك أو بجاههم ونحو ذلك . ولا نقل عنهم (٣) انهم تشفعوا عند قبره ولا في دعائهم في الصحراء. وقد قال صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبري وثنا. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه الامام مالك في الموطأ وغيره وفي سنن أبي داود أنه قال «لا تتخذوا قبري عيداً » وقال «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قال ذلك في مرض موته يحذر ما فعلوا : وقال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

وقد روى الترمذي حديثا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه علم رجلا

---

(١) عبارته في كتابه التوسل والوسيلة الذي اختصرت منه هذه الفتوى هكذا (فاما التوسل بذاته في حضوره أو في مغيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته او بغيره من الانبياء او السؤآل بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين

(٢) كذا في النسخة التي طبعنا عنها ولعل الاصل : أو يقولوا الخ — أو — وأن يقولوا فتأمل (٣) هكذا ذكر النفي هنا (بلا) معطوفا وهو يقتضي المقابل ولعل الاصل : ولكن لم ينقل عنهم انهم توسلوا بذاته ولا نقل عنهم الخ وهذا الواقع الذي صرح به في عدة مواضع من كتبه ورسائله

أن يدعو فيقول « اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوسل بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفعه في » روى النسائي نحو هذا الدعاء . وفي الترمذي وابن ماجة عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : آدع الله أن يعافيني، فقال « ان شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه بنبيك نبي الرحمة يارسول الله اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى. اللهم فشفعه في . قال الترمذي حديث حسن صحيح [١] ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ان أعمى قال يارسول الله : أدع الله لي أن يكشف لي عن بصري. قال «فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أتوجه بك الى ربي أن يكشف عن بصري، اللهم فشفعه في» قال فدعا وقد كشف الله عن بصره فهذا الحديث فيه التوسل الى الله به في الدعاء. ومن الناس من يقول: هذا يقتضي جواز التوسل بذاته مطلقة حيا وميتا ومنهم من يقول : هذه قضية عين وليس فيها الا التوسل بدعائه وشفاعته لا التوسل بذاته، كما ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به اذا أجدبوا ثم إنهم بعد موته انما توسلوا بغيره من الاحياء بدلا عنه فلو كان التوسل به حيا وميتا مشروعا لم يعدلوا عنه وهو أفضل الخلق واكرمهم على ربه ، الى غيره ممن ليس مثله، فعدولهم عن هذا الى هذا مع أنهم السابقون الاولون وهم أعلم منا بالله ورسوله وبحقوق الله ورسوله ومايشرع من الدعاء وماينفع، وما لا يشرع ولا ينفع، وما يكون أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات، وتيسير العسير، وانزال الغيث، بكل طريق، دليل على أن المشروع ماسلكوه دون ما تركوه، ولهذا

---

(١) هو حديث غريب كما صرح الترمذي انفرد به ابو جعفر قال هو غير الخطمى ، وظاهر صنيع تهذيب التهذيب تبعا لاصله انه مجهول فانه وضع له عددا خاصا ولم يزد على ما قاله فيه الترمذي أنه غير الخطمى والا فهو عيسى بن رازي التيمي ولكن هذا ضعيف حتى قال ابن حبان ينفرد عن المشاهير بالمنا كير او محمد بن ابراهيم المؤذن وليس بالقوي الذي يعد حديثه صحيحاً

ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء مافعلوه دون ما تركوه. وذلك أن التوسل به حيا هو الطلب لدعائه وشفاعته، وهو من جنس مسألته أن يدعو، فما زال المسلمون يسألونه أن يدعو لهم في حياته، وأما بعد موته فلم يكن الصحابة يطلبون منه ذلك لا عند قبره ولا عند غيره كما يفعله كثير من الناس عند قبور الصالحين (١) وان كان قد روي في ذلك حكايات مكذوبة عن بعض المتأخرين، بل طلب الدعاء مشروع لكل مؤمن من كل مؤمن، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب لما استأذنه في العمرة « لا تنسنا يا أخي من دعائك » حتى إنه أمر عمر أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له، مع أن عمر رضي الله عنه أفضل من أويس بكثير وقد أمر أمته أن يسألوا الله له الوسيلة وان يصلوا عليه

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من رجل يدعو لاخيه في ظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لاخيه بدعوة قال الموكل به آمين ولك مثل ذلك» (٢) فالطالب الدعاء من غيره نوعان أحدهما أن يكون سؤاله على وجه الحاجة اليه فهذا بمنزلة أن يسأل الناس قضاء حوائجه. والثاني أنه يطلب منه الدعاء لينتفع الداعي بدعائه له وينتفع هو فينفع الله هذا وهذا بذلك الدعاء كمن يطلب من المخلوق مايقدر المخلوق عليه، والمخلوق قادر على دعاء الله ومسألته، فطلب الدعاء منه جائز كمن يطلب منه الاعانة بما يقدر (عليه) فأما مالا يقدر عليه الا الله فلا يجوز أن يطلب الا من الله، لا من الملائكة ولا من الانبياء ولا من غيرهم، لا يجوز أن يقول لغير الله: اغفر لي، واسقنا الغيث، ونحو ذلك. ولهذا روى الطبراني في معجمه

«١» يزعم بعض الناس في زماننا أنه لا فرق في طلب الدعاء والشفاعة منه «ص». بين حالي الحياة والممات لأنه حي في قبره. وكأنهم يدعون أنهم أعلم من الصحابة وسائر أئمة السلف بذلك فالصحابة رضي الله عنهم فرقوا بين الحالين وان شئت قلت بين الحياتين، والامور التعبدية لاتشرع بالعقل ولا بالقياس

(٢) الحديث في صحيح مسلم بمعنى ما ذكر من حديث أبي الدرداء بثلاثة الفاظ ليس هذا منها فهو مذكور بالمعنى ورواه أبو داود ايضا

أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال الصديق رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فجؤا اليه فقال «انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله» وهذا في الاستعانة مثل ذلك

فاما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب ولهذا قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وفي دعاء موسى عليه الصلاة والسلام: وبك المستغاث. وقال أبو يزيد البسطامي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون وقد قال تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة)[١] الآية فبين أن من اتخذ النبيين أو الملائكة أو غيرهم أربابا فهو كافر. وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض — الى قوله — ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى عن صاحب ياسين (وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) الآية وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)

فالشفاعة نوعان أحدهما شفاعة التي أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الامة وضلالهم وهي شرك

والثانية أن يشفع الشفيع بأن المشفع الله التي أثبتها الله[٢] لعباده الصالحين

---

(١) بل هما آيتان والشاهد في الثانية أظهر وهي قوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون)

«٢» لعل اصل العبارة : والثانية أن يشفع الشفيع باذن المشفع (بكسر الفاء) وهو الله تعالى ، وهي الشفاعة التي أثبتها الله الخ

ولهذا كان سيد الشفعاء اذا طلب منه الخلق الشفاعة يوم القيامة يأتي ويسجد تحت العرش قال «فأحمد ربى بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن فيقال: أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع» فاذا أذن الله في الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع فيه. قال أصحاب هذا القول فلا يجوز أن يشرع ذلك في مغيبه وبعد موته، وهو معنى الاقسام به على الله والسؤال بذاته، فان الصحابة رضي الله عنهم قد فرقوا بين الامرين. فان في حياته صلى الله عليه وسلم ليس في ذلك محذور ولا مفسدة، فان أحداً من الانبياء لم يُعبَد في حياته بحضوره فانه ينهى أن يشرك به ولو كان شركا أصغر، كما ان من سجد له نهاه عن السجود له، وكما قال «لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد» وأمثال ذلك

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والاشراك به كما أشرك بالمسيح والعزير وغيرهما ولهذا كانت الصلاة في حياته مشروعة عند قبره منهيا عنها والصلاة خلفه في المسجد مشروعة ان لم يكن المصلي ملاقانه والصلاة الى قبره منهيا عنها (١)

فمعنا أصلان عظيمان (أحدهما) انه لا يعبد الا الله (والثاني) أن لا يعبد الا بما شرع لا ببعادة مبتدعة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لاحد فيه شيئا

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» فلا ينبغي لاحد أن يخرج عما مضت به السنة، وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الامة، وما

---

(١) هذه العبارة كلها قد حرفها الناسخ ولم نجد لها أصلا في كتاب التوسل والوسيلة نصححها عليه والذي يعلم من القرائن بمعونة الاحاديث الواردة في النهى عن الصلاة في القبور واليها والنهى عن اتخاذ قبره وثنا يعبد واتخاذه عيدا — ان الصلاة خلفه (ص) أو بالقرب منه في حياته لم يكن يخشى أن يقصد بها تعظيمه بها فيكون اشراكا لأنها غير خالصة لله تعالى، وأما الصلاة الى قبره وتعظيمه بعد وفاته فيخشى منه ذلك ولذلك نهى عنه

علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تقل على الله مالا تعلمه

وقد اتفق العلماء على انه لا ينعقد اليمين بغير الله ولو حلف بالكعبة أو بالملائكة أو بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لم تنعقد يمينه ولا يشرع له ذلك بل ينهى عنه إما نهي تحريم وإما نهي تنزيه فان للعلماء في ذلك قولين والصحيح أنه نهي تحريم ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »

وفي الترمذي عنه أنه قال «من حلف بغير الله فقد أشرك» ولم يقل أحد من العلماء انه ينعقد اليمين بأحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فان عن احمد في انعقاد اليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتين لكن الذي عليه الجمهور كمالك والشافعي وأبي حنيفة انه لا ينعقد اليمين به كاحدى الروايتين عن أحمد وهذا هو الصحيح،

ولا يستعاذ أيضا بالمخلوقات بل انما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته ولهذا احتج على ان كلام الله غير مخلوق بقوله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق» فقد استعاذ بها والمخلوق لا يستعاذ به. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا بأس بالرقى ما لم يكن شركا » كالتي فيها استعانة بالجن كما قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رَهَقا) وهذا مثل العزائم والاقسام التي يقسم بها على الجن وقد نهي عن كل قسم وعزيمة لا يعرف معناهما بحيث أن يكون فيهما مالا يجوز من سؤال غيره.

فسائل الله بغير الله اما أن يكون مقسما عليه واما أن يكون طالبا بذلك السبب كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم، وكما يتوسل بدعاء الانبياء والصالحين. فان كان إقساما على الله بغيره فهذا لا يجوز. وان كان طالبا من الله بذلك السبب كالطلب منه بدعاء الصالحين والاعمال الصالحة فهذا يصح لان دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به، وكذلك الاعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا. فاذا توسلنا بذلك كنا متوسلين اليه بوسيلة تبقى عنده. واما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال

الصالحة(١) ولا ريب ان لهم عند الله من المنازل أمراً يعود نفعه عليهم ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم، ومحبتنا لهم، وبدعائهم لنا، فاذا توسلنا الى الله بايماننا بنبيه ومحبته وموالاته واتباع سنته ونحو ذلك فهذا من أعظم الوسائل، وأما نفس ذاته مع عدم الايمان به، و(عدم) طاعته وعدم دعائه لنا، فلا يجوز. فالمتوسل اذا لم يتوسل لا بما من المتوسل به ولا بما منه ولا بما من الله فبأي شيء يتوسل؟(٢) والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة فاما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك (الغير) مثل أن يقال لابي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه: اشفع لنا عند فلان (واما) أن يسأل. كما يقال بحياة ولدك فلان و بتربة أبيك فلان و بحرمة شيخك فلان ونحو ذلك. وقد علم ان الاقسام على الله بغير الله لا يجوز بل لا يجوز أن يقسم بمخلوق على الله أصلا. وأما حديث الاعمى فانه طلب من النبي أن يدعو له كما طلب الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء منه صلى الله عليه وسلم وقوله «أتوجه اليك بنبيك محمد» أي بدعائه وشفاعته لي. ولهذا في تمام الحديث: فشفعه في. فالذي في الحديث متفق على جوازه وليس هو مما نحن فيه. وقد قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) فعلى قراءة الجمهور(٣) انما يتساءلون بالله وحده لا بالرحم، وتساؤلهم بالله متضمن إقسام بعضهم على بعض بالله و تعاهدهم بالله. واما على قراءة الخفض فقد قالت طائفة من السلف: هو قولك أسألك بالله و بالرحم. فعنى قولك أسألك بالرحم ليس اقساما بالرحم فان

---

(١) سقط من هذا الموضع جواب اما من نسختنا مع شيء من شرطها والمعنى ظاهر ومثله في كتبه الاخرى ولعل الاصل: وأما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال الصالحة التي نعملها اقتداء بهم بل توسلنا اليه وسألناه بذواتهم أو جاههم عنده - كنا متوسلين اليه بامر أجنبي ليس سببا لاجابة سؤالنا الخ

«٢» أي اذا لم يتوسل بما هو من المتوسل به كدعائه له - ولا بما هو منه هو كعمله الصالح وايمانه - ولا بما هو من الله تعالى كسؤاله بفضله ورحمته وما أوجبه على نفسه - فباي شيء يتوسل؟ والوسيلة - وهي القربة الى الله - محصورة في هذه الثلاث التي هي أسباب اجابة السؤال والعطاء دون ذوات الانبياء والصالحين وصفاتهم وجاههم اذ هي ليست من اعمالنا ولا من اعمالهم لنا (٣) هي نصب الارحام

القسم بها لا يشرع لكن بسبب الرحم أي ان الرحم توجب لاصحابها بعضهم على بعض حقوقا كسؤال (أصحاب الغار) الثلاثة لله عز وجل بأعمالهم الصالحة

ومن هذا — الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك. أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة» فهذا الحديث (عن) عطية العوفي وفيه ضعف[1] فان كان هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم فهو من هذا الباب لوجهين أحدهما أن فيه السؤال لله بحق السائلين عليه، وبحق الماشين في طاعته، وحق السائلين أن يجيبهم، وحق الماشين أن يثيبهم، وهذا حق أحقه على نفسه سبحانه وتفضل به، وليس للمخلوق أن يوجب على الخالق شيئا. ومنه قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن). وفي الصحيح من حديث معاذ « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه ان فعلوا ذلك أن لا يعذبهم» فحق السائلين والعابدين له هو الاثابة والاجابة فذلك سؤال له في أفعاله[2] كالاستعاذة وقوله « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك » فالاستعاذة بالمعافاة التي هي فعله كالسؤال باثابته التي هي فعله. وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله يقول يا عبدي انما هي اربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقي، فالتي هي لي تعبدني لا تشرك بي شيئا، والتي هي لك اجزيك به أحوج ما تكون اليه، والتي بيني وبينك منك الدعاء وعلي الاجابة، والتي بينك وبين خلقي فائت الى الناس ما تحب أن يأتوه اليك » وتقسيمه في الحديث الى قوله واحدة لي وواحدة لك هو مثل تقسيمه في حديث الفاتحة بحيث يقول الله

---

(١) بل قال في مجمع الزوائد ان اسناده مسلسل بالضعفاء — لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده (٢) الظاهر : بأفعاله

تعالى « قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي ولعبدي ماسأل » والعبد يعود عليه نفع النصفين والله تعالى يحب النصفين لكن هو سبحانه يحب أن يعبد. وما يعطيه العبد من الاعانة والهداية هو وسيلة الى ذلك فانما يحبه لكونه طريقا الى عبادته، والعبد يطلب ما يحتاج اليه أولا وهو محتاج إلى الاعانة على العبادة والهداية الى الصراط المستقيم وبذلك يصل الى العبادة الى غير ذلك مما يطول الكلام فيما يتعلق بذلك وليس هذا موضعه وان كنا خرجنا عن المراد

الوجه الثاني الدعاء له والعمل له سبب لحصول مقصود العبد فهو كالتوسل بدعاء الرسول والصالحين من امته. وقد تقدم أن الدعاء اما أن يكون اقساما به أو تسببا به، فان قوله: بحق الصالحين إن كان إقساما عليه فلا يقسم على الله الا بصفاته. وان كان تسببا فهو تسبب لما جعله سبحانه سببا وهو دعاؤه وعبادته. فهذا كله يشبه بعضه بعضا وليس في شيء من ذلك دعاء له بمخلوق ولا عمل صالح منا. فاذا قال القائل أسألك بحق الانبياء والملائكة والصالحين فان كان يقسم بذلك فلا يجوز أن يقول وحق الملائكة وحق الانبياء وحق الصالحين ولا يقول لغيره أقسمت عليك بحق هؤلاء فاذا لم يجز أن يحلف به ولا يقسم، فكيف يقسم على الخالق به؟ وان كان لا يقسم به فليس في ذوات هؤلاء سبب يوجب حصول مقصوده لكن لا بد من سبب منه كالايمان بالانبياء والملائكة، أو منهم كدعائهم لنا — لكن كثير من الناس تعودوا ذلك كما تعودوا الحلف بهم حتى يقول أحدهم: وحقك على الله وحق هذه الشيبة على الله. وفي الحلية لابي نعيم أن داود عليه السلام قال: يارب بحق آبائي عليك ابراهيم واسحاق و يعقوب، فأوحى الله اليه « يا داود أي حق لآبائك علي؟ » وهذا وان لم يكن من الادلة الشرعية فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه. واما الغائب والميت فلا يطلب منه شيء.

وتحقيق هذا الامر أن التوسل به والتوجه اليه و به لفظ فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح، فمعناه في لغة الصحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكونون

متوسلين ومتوجهين بدعائه وشفاعته . ودعاؤه وشفاعته من أعظم الوسائل عند الله وأما في لغة كثير من الناس أن يسأل بذلك و يقسم عليه بذلك والله تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات بل لا يقسم بها بحال فلا يقال أقسمت عليك يارب بملائكتك ونحو ذلك بل انما يقسم بالله وأسمائه وصفاته . فيقال « أسألك بأن لك الحمد . لا إله الا أنت يا الله المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم ، وأسألك بأنك أنت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك » الحديث كما جاءت به السنة واما أن يسأل الله ويقسم عليه بمخلوقاته فهذا لا أصل له في دين الاسلام. وقوله : اللهم اني اسألك بمعاقد العزمن عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، و باسمك وجدك الاعلى وكلماتك التامة — مع أن في جواز الدعاء به قولين للعلماء فجوزه أبو يوسف وغيره ومنع منه أبو حنيفة وأمثال ذلك — فينبغي للخلق أن يدعوا بالادعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فان ذلك لاريب في فضله وحسنه فانه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً ، وهو أجمع وأنفع ، وأسلم وأقرب الى الاجابة

وأما ما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم « اذا كانت لكم الى الله حاجة فاسألوا الله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم » فهذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث والمشروع الصلاة عليه في كل دعاء . ولهذا ذكر الدعاء في الاستسقاء غيره ذكروا الامر بالصلاة عليه ، ولم يذكروا فيما يشرع للمسلمين في هذا الحال التوسل به كما لم يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستغاثة به في حال من الاحوال ، وان كان بينهما فرق فدعاء غير الله كفر بخلاف قول القائل اني أسألك بجاه فلان الصالح فان هذا لم يبلغنا عن أحد من السلف انه كان يدعو به

ورأيت في فتاوى الفقيه الشيخ أبي محمد ابن عبد السلام انه لا يجوز ذلك في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم ثم رأيت عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من

العلماء انهم قالوا : لايجوز الاقسام على الله بأحد من الانبياء . ورأيت في كلام الامام احمد انه في النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا قد يخرج على احدى الروايتين عنه في جواز الحلف به .

وأما الصلاة عليه فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وفي الصحيح عنه انه قال « من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرا »

وفي المسند أن رجلا قال : يارسول الله أجعل عليك ثلث صلواتي قال « يكفيك الله ثلث أمرك » فقال : « أجعل عليك نصف صلاتي » قال « اذاً يكفيك الله ثلثي أمرك » فقال أجعل صلاتي كلها عليك فقال « اذاً يكفيك الله ما أهمك من أمور دنياك وآخرتك »

وقد ذكر العلماء وأئمة الدين الادعية المشروعة وأعرضوا عن الادعية المبتدعة فينبغي اتباع ذلك

والمراتب في هذا الباب ثلاثة (أحدها) أن الدعاء لغير الله سواء كان المدعو حيا أو ميتا وسواء كان من الانبياء عليهم السلام وغيرهم فيقال ياسيدي فلان أغثني ! وأنا مستجير بك ونحو ذلك فهذا هو الشرك بالله . والمستغيث بالمخلوقات قد يقضي الشيطان حاجته أو بعضها . وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به وانما هو شيطان أضله وأغواه لما أشرك بالله كما يتكلم الشيطان في الاصنام وفي المصروع وغير ذلك . ومثل هذا واقع كثيرا في زماننا وغيره وأعرف من ذلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أوصورة غيري وقضى حوائجهم فظنوا أن ذلك من بركة لاستغاثة (بي) أو بغيري وانما هو شيطان أضلهم وأغواهم وهذا هو أصل عبادة الاصنام واتخاذ الشركاء مع الله تعالى في الصدر الاول من القرون الماضية كما ثبت ذلك فهذا شرك بالله نعوذ بالله من ذلك

(الثاني) أن يقال للميت أو الغائب من الانبياء والصالحين : ادع الله لي وادع لنا

ربك ونحو ذلك فهذا مما لا يستريب عالم أنه غير جائز. وانه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الامة وأئمتها . وان كان السلام على أهل القبور جائزاً ومخاطبتهم جائزة كما كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول قائلهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا ان شاء الله بكم لاحقون» وقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال« ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام »

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال«ما من رجل مسلم سلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » لكن ليس من المشروع أن يطلب من الاموات شيئاً. وفي الامام مالك[1] أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يقول : السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبه، ثم ينصرف . وكذلك أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، نقل عنهم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لايدعون وهم مستقبلو القبر الشريف . وان كان قد وقع في ذلك بعض الطوائف من الفقهاء والمتصوفة ومن العامة من لا اعتبار بهم فانه لم يذهب الى ذلك امام متبع في قوله ولا من له في الامة لسان صدق . بل قد تنازع العلماء في السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ويستدبر القبر .وقال مالك والشافعي بل يستقبل القبر وعند الدعاء يستقبل القبلة ويستدبر القبر ، ويجعل القبر عن يساره أو يمينه وهو الصحيح أذ لامحذور في ذلك

(الثالث) أن يقول: أسألك بجاه فلان عندك أو بحرمته ونحو ذلك . فهو الذي تقدم عن أبي محمد انه أفتى بانه لايجوز في غير النبي صلى الله عليه وسلم . وافتى أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما انه لايجوز في حق أحد من الانبياء فكيف بغيرهم . وان كان بعض المشايخ المبتدعين يحتج بما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال« اذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور »او قال« فاستغيثوا بأهل القبور »

(١) كذا بالأصل ولعلها وفي (موطأ الامام مالك الخ)

فهذا الحديث كذب مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة

وقد قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) الآية وهذا مما يعلم بالاضطرار في دين الاسلام أنه غير مشروع . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما هو أقرب من ذلك من اتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك و لعن على ذلك من فعله تحذيراً من الفتنة باليهود فان ذلك هو أصل عبادة الاصنام أيضا فان ودا وسواعا و يغوث و يعوق ونسرا كانوا قوما صالحين في قوم نوح عليه الصلاة والسلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم اتخذوا الاصنام على صورهم كما ذكر ذلك ابن عباس وغيره من العلماء[1] فمن فهم معنى قوله (اياك نعبد واياك نستعين) عرف أنه لا يعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله وحده

وقد يستغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستعانة لا تكون الا بالله والتوكل لا يكون الا على الله . وما النصر الا من عند الله . فالنصر المطلق وهو خلق ما يغلب به العدو فلا يقدر عليه الا سبحانه . وفي هذا القدر كفاية لمن هداه الله تعالى والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى

---

(١) الأثر في صحيح البخاري

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مسألة﴾ ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في أهل الصفة كم كانوا ؟ وهل كانوا بمكة أو بالمدينة ؟ وأين موضعهم الذي كانوا يقيمون به ؟ وهل كانوا مقيمين بأجمعهم لا يخرجون الا خروج حاجة أو كان منهم من يقعد بالصفة ومنهم من يتسبب في القوت ؟ وما كان تسببهم هل يعملون بأبدانهم أم يشحذون بالزنبيل ؟

وما قول العلماء وفقهم الله تعالى فيمن يعتقد أن أهل الصفة قاتلوا المؤمنين مع المشركين؟ وفيمن يعتقد أن اهل الصفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن الستة الباقين من العشرة وأفضل من جميع الصحابة ؟ وهل كان فيهم أحد من العشرة؟ وهل كان أحد في ذلك العصر ينذر لاهل الصفة ؟ وهل تواجدوا على دف أو شبابة أو كان لهم حاد ينشد لهم أشعارا ويتحركون عليها بالتصدية و يتواجدون؟

وما قول العلماء في قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) هل هي عامة أم مخصوصة بأهل الصفة رضي الله عنهم؟ وهل هذا الحديث الذي يرويه كثير من العوام ويقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله لا الناس تعرفه ولا الولي يعرف أنه ولي» وهل تخفى حالة الاولياء أو طرقهم على أهل العلم أو غيرهم ؟ ولماذا سمي الولي وليا؟ وما الفقراء الذين يسبقون الاغنياء الى الجنة والفقراء الذين أوصى الله عليهم في كلامه وذكرهم خاتم أنبيائه ورسله وسيد خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في سنته ؟ هل هم الذين لا يملكون كفايتهم أهل الفاقة والحاجة أم

لا؟ والحديث المروي في الابدال هل هو صحيح أم مقطوع؟ وهل الابدال مخصوص بالشام أم حيث تكون شعائر الاسلام قائمة بالكتاب والسنة يكون بها الابدال بالشام وغيره من الاقاليم؟ وهل صحيح أن الولي يكون قاعدا في جماعة و يغيب جسده

وما قول السادة العلماء في هذه الاسماء التي تسمى بها أقوام من المنسوبين الى الدين والفضيلة ويقولون هذا غوث الاغواث وهذا قطب الاقطاب وهذا قطب العالم وهذا القطب الكبير وهذا خاتم الاولياء؟

وأيضا فما قول العلماء في هؤلاء القلندرية الذين يحلقون ذقونهم ما هم؟ ومن أي الطوائف يحسبون؟ وما قولكم في اعتقادهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم شيخهم قلندر عنبا وكلمه بلسان العجم؟ وهل يحل لمسلم يؤمن بالله تعالى أن يدور في الاسواق والقرى ويقول من عنده نذر للشيخ فلان أو اقبره؟ وهل يأثم من يساعده أم لا؟ وماتقولون فيمن يقول ان الست نفيسة هي باب الحوائج الى الله تعالى وانها خفيرة مصر؟ وماتقولون فيمن يقول ان بعض المشايخ اذا قام لسماع المكاء والتصدية يحضره رجال الغيب وينشق السقف والحيطان وتنزل الملائكة ترقص معهم أو عليهم وفيهم من يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر معهم؟ وماذا يجب على من يعتقد هذا الاعتقاد؟ وما صفة رجال الغيب وما قول من يقول أنه من خفراء التتار؟ وهل يكون للتتار خفراء أم لا؟ واذا كانوا فهل يغلب حال هؤلاء خفراء الكفار كحال خفراء أمة النبي صلى الله عليه وسلم

وهل هذه المشاهد المسماة باسم أمير المؤمنين علي و ولده الحسين رضي الله عنهما صحيحة أم مكذوبة؟ وأين ثبت قبر علي بن عم رسول الله؟ والمسؤول من احسان علماء الاصول كشف هذه الاعتقادات والدعاوى والاحوال كشفا شافيا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

والحالة هذه أفتونا مأجورين أثابكم الله

أجاب: رضي الله عنه وأرضاه آمين.

الحمد لله رب العالمين: أما الصفة التي ينسب اليها أهل الصفة من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم فكانت في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمال المسجد بالمدينة النبوية كان يأوي اليها من فقراء المسلمين من ليس له اهل ولا مكان يأوي اليه. وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما أمر نبيه والمؤمنين أن يهاجروا الى المدينة النبوية حين آمن به من آمن من أكابر أهل المدينة من الاوس والخزرج وبايعهم بيعة العقبة عند منى وصار للمؤمنين دارعز ومنعة جعل المؤمنون من أهل مكة وغيرهم يهاجرون الى المدينة وكان المؤمنون السابقون بها صنفين المهاجرين الذين هاجروا اليها من بلادهم والانصار الذين هم اهل المدينة وكان من لم يهاجر من الاعراب وغيرهم من المسلمين لهم حكم آخر، وآخرون كانوا ممنوعين من الهجرة لمنع أكابرهم لهم بالقيد والحبس، وآخرون كانوا مقيمين بين ظهراني الكفار المستظهرين عليهم وكل هذه الاصناف مذكورة في القرآن وحكمهم باق الى يوم القيامة في أشباههم ونظرائهم قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آوو ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فهذا في السابقين

ثم ذكر من اتبعهم الى يوم القيامة فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآية وذكر في السورة الاعراب المؤمنين وذكر المنافقين من اهل المدينة وممن حولها. وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * الا المستضعفين

من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم * وكان الله غفورا رحيما)

فلما كان المؤمنون يهاجرون الى المدينة النبوية كان فيهم من ينزل على الانصار بأهله أو بغير أهله لان المبايعة كانت على أن يؤووهم ويواسوهم . وكان في بعض الاوقات اذا قدم المهاجر اقترع الانصار على من ينزل منهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالف بين المهاجرين والانصار وآخى بينهم. ثم صار المهاجرون يكثرون بعد ذلك شيئا بعد شيء فان الاسلام صار ينتشر والناس يدخلون فيه والنبي صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار تارة بنفسه وتارة بسراياه فيسلم خلق تارة ظاهرا وباطنا وتارة ظاهرا فقط ويكثر المهاجرون، الى المدينة من الاغنياء والفقراء والآهلين والعزاب . فكان من لم يتيسر له مكان يأوي اليه يأوي الى تلك الصفة التي في المسجد . ولم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد بل منهم من يتأهل أو ينتقل الى مكان آخر يتيسر له ويجيء ناس بعد ناس وكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون . فتارة يكونون عشرة أوأقل وتارة يكونون عشرين وثلاثين وأكثر وتارة يكونون ستين وسبعين

وأما جملة من آوي الى الصفة مع تفرقهم فقد قيل كانوا نحو أربعمائة من الصحابة وقد قيل كانوا أكثر من ذلك. جمع أسماءهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ولم يعرف كل واحد منهم في كتاب تاريخ أهل الصفة (١) وكان معتنيا بجمع أخبار النساك والصوفية والآثار التي يستندون اليها والكلمات المأثورة عنهم وجمع أخبار زهاد السلف وأخبار جميع من بلغه انه كان من أهل الصفة وكم بلغوا . والصوفية المستأخرون بعد القرون الثلاثة (١). وجمع أيضا في الابواب مثل حقائق التفسير ومثل أبواب التصوف الجارية على أبواب الفقه ومثل كلامهم في التوحيد والمعرفة والمحبة ومسألة السماع وغير ذلك من الاحوال وغير ذلك من الابواب.

---

(١) هذا التاريخ لابي عبد الرحمن محمد السلمي المذكور المتوفى سنة ٤١٢

وفيما جمعه فوائد كثيرة ومنافع جليلة وهو في نفسه رجل من أهل الخير والدين والصلاح والفضل . وما يرويه من الآثار فيه من الصحيح شيء كثير ويروي أحيانا آثارا ضعيفة بل موضوعة يعلم انها كذب

وقد تكلم بعض حفاظ الحديث في سماعه وكان البيهقي اذا روى عنه يقول حدثنا أبوعبدالرحمن من أصل سماعه وما يظن به و بأمثاله ان شاء الله تعالى تعمد الكذب(١) لكن لعدم الحفظ والاتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية فان النساك والعباد منهم من هو متقن في الحديث مثل ثابت البناني والفضيل بن عياض وأمثالهم ومنهم من قد يقع في بعض حديثه غلط وضعف مثل مالك بن دينار وفرقد السبخي ونحوهما

وكذلك ما يؤثره أبو عبد الرحمن عن بعض المتكلمين في الطريق أو ينتصر له من الاقوال والاحوال فيه من الهدى والعلم شيء كثير . وفيه أحيانا من الخطأ أشياء و بعض ذلك يكون عن اجتهاد سائغ و بعضه باطل قطعا مصدره مثل ماذكر في حقائق التفسير قطعة كبيرة عن جعفر الصادق وغيره من الآثار الموضوعة وذكر عن بعض طائفة أنواعا من الاشارات التي بعضها أمثال حسنة واستدلالات مناسبة و بعضها من نوع الباطل واللغو. والذي جمعه الشيخ أبوعبدالرحمن في تاريخ أهل الصفة وأخبار زهاد السلف وطبقات الصوفية يستفاد منه فوائد جليلة و يجتنب ما فيه من الروايات الباطلة و يتوقف فيما فيه من الروايات الضعيفة . وهكذا كثير من أهل الروايات ومن أهل الآراء والاذواق من الفقهاء والزهاد والمتكلمة وغيرهم يؤخذ فيما يأثرونه عمن قبلهم وفيما يذكرونه معتقدين له شيء كثير وأمر

---

(١) المنار: ذكر الحافظ في لسان الميزان السلمي هذا ووصفه بانه شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم وانه عني بالحديث ورجاله وقال: تكلموا فيه وليس بعمدة بل قال ابن القطان : كان يضع الاحاديث للصوفية وان الحاكم قال كان كثير السماع والحديث متقنا فيه من بيت الحديث والزهد والتصوف . (قلت) وقال السراج: مثله ان شاء الله لا يتعمد الكذب ونسبه الى الوهم .

عظيم من الهدى ودين الحق الذى بعث الله به رسوله . ويوجد أحيانا عدم من جنس الآراء والاذواق الفاسدة أو المحتملة شيء كثير، ومن له من الامة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الامة فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وغلطهم قليل بالنسبة الى صوابهم وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون بها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى الانفس

﴿ فصل وأما حال أهل الصفة ﴾ هم وغيرهم من فقراء المسلمين (الذين) لم يكونوا في الصفة أو كانوا يكونون بها بعض الاوقات ـ فكما وصفهم الله تعالى في كتابه حيث بين مستحقي الصدقة منهم ومستحقي الفيء . فقال (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) الى قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) وقال في أهل الفيء (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)

وكان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند امكان الاكتساب الذي لا يصدهم عما هو أوجب أو أحب الى الله من الكسب وأما اذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدمون ما هو أقرب الى الله ورسوله

وكان اهل الصفة ضيف الاسلام يبعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون عنده فان الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون اليه من الرزق

واما المسألة فكانوا فيها كما أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم حرمها على المستغني عنها وأباح منها أن يسأل الرجل حقه مثل أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه من مال الله أو يسأل اذا كان لا بد سائلا الصالحين الموسرين اذا احتاج الى ذلك ونهى خواص أصحابه عن المسألة مطلقا حتى كان السوط يسقط من يد أحدهم

فلا يقول لاحد ناولني اياه. وهذا الباب فيه أحاديث وتفصيل وكلام للعلماء لا يسعه هذا الكتاب مثل قوله (ص) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه «ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل له ولا مشرف فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك(١) . ومثل قوله : من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ما أعطى أحد عطاء خيرا أوسع من الصبر (٢). ومثل قوله : من سأل الناس وله مايغنيه جاءت مسألته خدوشا أو خموشا اوكدوشا في وجهه (٣). وقوله : لان يأخذ احدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه»(٤) الى غير ذلك من الاحاديث

واما الجائز منها فمثل ما اخبر الله عز وجل عن موسى والخضر أنهما اتيا اهل قرية استطعما اهلها . ومثل قوله «لاتحل المسألة الا لذي الم موجع او غرم مفظع او فقر مدقع . ومثل قوله لقبيصة بن مخارق الهلالي «يا قبيصة لا تحل المسألة الا لثلاثة ، رجل اصابته جائحة اجتاحت ماله فسأل حتى يجد سدادا من عيش و قواما من عيش ثم يمسك ، ورجل يحمل حمالة فيسأل حتى يجد حمالته ثم يمسك

(١) المنار: الحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظ البخاري في كتاب الاحكام: عن عبدالله بن عمر قال سمعت عمر يقول كان رسول الله (ص) يعطيني العطاء فأقول اعطه أفقر اليه مني ، حتى أعطاني مرة فقلت اعطه من هو افقر اليه مني فقال « خذه فتموله وتصدق به فما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك » وله في كتاب الزكاة : اذا جاءك بدل فما جاءك ولفظ مسلم «خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك » الخ وزاد في آخره قال سالم : فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه

(٢) هو في الصحيحين أيضا على اختلاف في ألفاظه وأوله «مايكون عندي من مال فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله الخ (٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وفيه زيادة تحدد الغنى بخمسين درهما وفي سنده حكيم بن جبير ضعيف وتكلم فيه شعبة من أجل هذا الحديث، ومعنى الخموش والخدوش والكدوش واحد (٤) روياه ايضا واللفظ للبخاري

وما سوي ذلك من المسأله فانما هو سحت اكله صاحبه سحتا (١)

ولم يكن في الصحابة لا أهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس والالحاف في المسألة بالكدية والمشاحذة - لا بالزنبيل ولا غيره - صناعة وحرفة بحيث لا يبتغي الرزق الا بذلك. كما لم يكن في الصحابة ايضا اهل فضول من الاموال يزكون لا يؤدون الزكاة ولا ينفقون اموالهم في سبيل الله ولا يعطون فى النوائب بل هذان الصنفان الظالمان المصران على الظلم الظاهر من مانعي الحقوق الواجبة والمعتدين حدود الله في اخذ اموال الناس كانا معدومين فى الصحابة المثنى عليهم

(فصل) من توهم أن أحدا من الصحابة أهل الصفة أو غيرهم أو التابعين أو تابع التابعين قاتل مع الكفار أو قاتلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أو اصحابه أو انهم كانوا يستحلون ذلك أو أنه يجوز ذلك فهذا ضال غاو بل كافر يجب أن يستتاب من ذلك فان تاب والا قتل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

بل كان اهل الصفة ونحوهم كالقراء الذين قنت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على قتلهم من أعظم الصحابة ايمانا وجهادا مع رسول الله صلى عليه وسلم ونصرا لله ورسوله كما أخبر الله عنهم بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) وقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف

---

(١) لفظ الحديث في صحيح مسلم « ياقبيصة ان المسألة لا تحل الا لاحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش — ورجل أصابته فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا »

يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوات متعددة و كان القتال منه في تسع مغاز مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر، وحنين، وانكسر المسلمون يوم أحد وأنهزموا ثم عادوا يوم حنين ونصرهم الله ببدر وهم أذلة، وحصروا في الخندق حتى دفع الله عنهم أولئك الاعداء وفي جميع المواطن (كان) يكون المؤمنون من أهل الصفة وغيرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلوا مع الكفار قط

و مما يظن هذا و يقوله من الضلال والمنافقين قسمان (قسم منافقون) وان أظهروا الاسلام وكان في بعضهم زهادة وعبادة يظنون أن الى الله طريقا غير الايمان بالرسول ومتابعته وان من أولياء الله من يستغني عن متابعة الرسول كاستغناء الخضر عن اتباع موسى وفي هؤلاء من يفضل شيخه أو عالمه أو ملكه على النبي صلى الله عليه وسلم اما تفضيلا مطلقا أو في بعض صفات الكمال وهؤلاء منافقون كفار يجب قتلهم بعد قيام الحجة عليهم فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الثقلين انسهم وجنهم ، زهادهم وملوكهم وموسى عليه السلام انما بعث الى قومه لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان يجب على الخضر اتباعه بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه. وأنت على علم من الله تعالى علمكه الله لا أعلمه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» وقال الله تعالى (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات و الارض) وقال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا

(والقسم الثاني) من يشاهد ربوبية الله تعالى لعباده التي عمت جميع البرايا ويظن أن دين الله الموافقة للقدر سواء كان ذلك في عبادة الاوثان واتخاذ الشركاء والشفعاء من دونه وسواء كان فيه الايمان بكتبه و رسله والاعراض عنهم والكفر

بهم. وهؤلاء يسوون بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الارض وبين المتقين والفجار، ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويجعلون الايمان والتقوى والعمل الصالح بمنزلة الكفر والفسوق والعصيان وأهل الجنة كاهل النار وأولياء الله كاعداء الله، وربما جعلوا هذا من باب الرضا بالقضاء وربما جعلوه التوحيد والحقيقة، بنوا على أنه توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون وأنه الحقيقة الكونية. وهؤلاء يعبدون الله على حرف فان أصابهم خير اطمأنوا به وان أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة. وغايتهم يتوسعون في ذلك حتى يجعلوا قتال الكفار قتال الله وحتى يجعلوا أعيان الكفار والفجار والاوثان من نفس الله وذاته، ويقولون ما في الوجود غيره ولا سواه، بمعنى أن المخلوق هو الخالق والمصنوع هو الصانع، وقد يقولون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ويقولون (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) الى نحو ذلك من الاقوال والافعال التي هي شر من مقالات اليهود والنصارى بل ومن مقالات المشركين والمجوس وسائر الكفار من جنس مقالة فرعون والدجال ونحوهما ممن ينكر الصانع الخالق البارىء رب العالمين أو يقولون إنه هو أو إنه حل فيه

وهؤلاء كفار بأصل الاسلام، وهو شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله، فان التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا فلا نجعل له ندا في الوهيته ولا شريكا ولا شفيعا. فأما توحيد الربوبية وهو الاقرار بأنه خالق كل شيء فهذا قد قاله المشركون الذين قال الله فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون «الله» وهم يعبدون غيره. وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون)

فالكفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والارض وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكا مساويا له في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط لا من المجوس الثنوية ولا من أهل التثليث ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد الانبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم فان جميع هؤلاء وان كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك فهم يقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون به في الوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شركاء أو شفعاء — أو في ربوبيته بان يجعلوا غيره رب الكائنات دونه مع اعترافهم بانه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخالق

وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم * وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فكل الرسل دعوا الى عبادة الله وحده لاشريك له والى طاعتهم والايمان بالرسل هو الاصل الثاني من أصلي الاسلام فمن لم يؤمن بأن هذا (١) رسول الله الى جميع العالمين وانه يجب على جميع الخلق متابعته وان الحلال ما أحله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه فهو كافر مثل هؤلاء المنافقين، ونحوهم من يجوز الخروج عن دينه وشريعته وطاعته اما عموما واما خصوصا ويجوز اعانة الكفار والفجار على افساد دينه وشرعته ويحتجون بما يفترونه أن اهل الصفة قاتلوه وانهم قالوا نحن مع الله من كان

---

(١) المناسب ان يقال : بان محمدا (ص)

مع الله كنا معه ير يدون بذلك الحقيقة الكونية دون الامر والحقيقة الدينية ويحتج بمثل هذا من ينصر الكفار والفجار ويخفرهم بهمته وقلبه وتوجهه من ذوي الفقر. ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله وان الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، وكل هذا ضلال و باطل وان كان لاصحابه زهد وعبادة فهم في العباد، مثل أوليائهم في الاجناد، فان المرء على دين خليله والمرء مع أحب هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم

وقد جعل الله المؤمنين بعضهم اولياء بعض والكافرين بعضهم أولياء بعض، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين من الاسلام مع عبادتهم العظيمة الذين قال فيهم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وفارقوا جماعة المسلمين، فكيف بمن يعتقد أن المؤمنين كانوا يقاتلون النبي صلى الله عليه وسلم

ومثل هذا ما يرويه بعض هؤلاء المفترين ان اهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج وان الله أمره أن لا يعلم به أحدا فلما أصبح وجدهم يتحدثون به فأنكر ذلك فقال الله له أنا أمرتك أن لا تعلم به احدا لكن أنا الله أعلمتهم - الى أمثال هذه الاكاذيب التي هي من اعظم الكفر وهي كذب واضح فان اهل الصفة لم يكونوا الا بالمدينة ولم يكن بمكة اهل صفة والمعراج إنما كان من مكة كما قال سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) ومما يشبه هذا من بعض الوجوه رواية بعضهم عن عمر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث هو وأبو بكر وكنت كالزنجي بينهما . وهذا من الافك المختلق، ثم إنهم مع هذا يجعلون عمر الذي سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام بل كان كالزنجي و يدعون أنهم هم سمعوه وعرفوه، ثم كل منهم يفسره بما يدعيه من الضلالات

الكفرية التي يزعم أنها علم الاسرار والحقائق إما الاتحاد وإما تعطيل الشرائع ونحوذلك مثلا مايدعي النصيرية والاسماعيلية والقرمطية والباطنية الثنوية والحاكمية وغيرهم — من الضلالات المخالفة لدين الاسلام ماينسبونه الى على بن أبي طالب أو جعفر الصادق أو غيرهما من آهل البيت كالبطاقة والهفت والجدول والجفر وملحمة بن عقب وغير ذلك من الا كاذيب المفتراة باتفاق جميع أهل المعرفة وكل هذا باطل، فانه لما كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم به اتصال النسب والقرابة، وللاولياء والصالحين منهم ومن غيرهم به اتصال الموالاة والمتابعة، صار كثير ممن يخالف دينه وشريعته وسنته يموه باطله ويزخرفه بما يفتريه على أهل بيته وأهل موالاته ومتابعته وصار كثير من الناس يغلو إما في قوم من هؤلاء أو من هؤلاء حتى يتخذهم آلهة أو يقدم ما يضاف اليهم على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وحتى يخالف كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السلف الطيب من أهل بيته ومن أهل الموالاة له والمتابعة وهذا كثير في أهل الضلال

﴿ فصل ﴾ وأما تفضيل أهل الصفة على العشرة وغيرهم فخطأ وضلال بل خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب موقوفا ومرفوعا وكما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وأئمة العلم والسنة وبعدهما عثمان وعلي وكذلك سائر أهل الشورى مثل طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وهؤلاء مع أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الامة ومع سعيد بن زيد هم العشرة المشهود لهم بالجنة وقد قال الله تعالى في كتابه (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ففضل السابقين قبل فتح الحديبية الى الجهاد بأنفسهم وأموالهم على التابعين بعدهم وقال الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان)

وقد ثبت في فضل البدريين ما تميزوا به على غيرهم وهؤلاء الذين فضلهم

الله ورسوله فمنهم من هو من اهل الصفة، والعشرة لم يكن فيهم من هو من اهل الصفة الا سعد بن أبي وقاص فقد قيل انه اقام بالصفة مرة، واما اكابر المهاجرين والانصار مثل الخلفاء الاربعة ومثل سعد بن معاذ واسيد بن الحضير وعباد بن بشر وابي ايوب الانصاري ومعاذ بن جبل وابي بن كعب ونحوهم لم يكونوا من اهل الصفة بل عامة اهل الصفة انما كانوا من فقراء المهاجرين، والانصار كانوا في ديارهم ولم يكن احد ينذر لاهل الصفة ولا لغيرهم

﴿ فصل ﴾ واما سماع المكاء والتصدية وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية سواء كان بكف او بقضيب او بدف او كان مع ذلك شبابة فهذا لم يفعله احد من الصحابة لا من اهل الصفة ولا من غيرهم ولا من التابعين بل القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم « خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » لم يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب

وانما كان السماع الذين يجتمعون عليه سماع القرآن وهو الذي كان الصحابة من أهل الصفه وغيرهم يجتمعون عليه فكان أصحاب محمد اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أهل الصفة وفيهم قارىء يقرأ فجلس معهم، وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى ياأبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكل من نقل أنهم كان لهم حاد ينشد القصائد الربانية بصلاح القلوب أو انهم لما أنشد بعض القصائد تواجدوا على ذلك أو انهم مزقوا ثيابهم أو أن قائدا أنشدهم

قد لسعت حية الهوى كبدي   فلا طبيب لها ولا راقي

الا الطبيب الذي شغفت به   فعنده رقيتي وترياقي

أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال «ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم » أنشدوا شعرا وتواجدوا عليه فكل هذا وأمثاله كذب مفترى وكذب مختلق باتفاق أهل الآفاق من أهل العلم وأهل الايمان لا ينازع في ذلك

الا جاهل ضال وان كان قد ذكر في بعض الكتب شيء من ذلك فكله كذب باتفاق أهل العلم والايمان

﴿ فصل ﴾ وأما قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا من اهل الصفة أو غيرهم. أمر الله نبيه بالصبر مع عباد الله الصالحين الذين يريدون وجهه وأن لا تعدو عيناه عنهم (تريد زينة الحياة الدنيا) وهذه الآية في الكهف وهي سورة مكية وكذلك الآية التي هي في سورة الانعام (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)

وقد روي أن هاتين الآيتين نزلتا في المؤمنين المستضعفين لما طلب المستكبرون أن يبعدهم النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه الله تعالى عن طرد من يريد وجهه وان كان مستضعفا ثم أمره بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة وقبل وجود الصفة لكن هي متناولة لكل من كان بهذا الوصف من اهل الصفة وغيرهم

والمقصود بذلك أن يكون مع المؤمنين المتقين الذين هم اولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء فلا يتقدم أحد عند الله تعالى بسلطانه وماله ، ولا بذله وفقره، وانما يتقدم عنده بالايمان والعمل الصالح ، فنهى الله سبحانه وتعالى أن يطاع(١) أهل الرئاسة والمال الذين يريدون ابعاد من كان ضعيفا أو فقيرا وأمره أن لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وأن يصبر نفسه معهم في الجماعة التي أمر فيها بالاجتماع بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطيع أمر الغافلين عن ذكر الله المتبعين لاهوائهم

---

(١) لعل الاصل : فنهى الله سبحانه وتعالى نبيه ان يطيع الخ بدليل ماعطف عليه من قوله : وامره الخ

﴿فصل﴾ وأما الحديث المروي «مامن جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله»(١) فمن الاكاذيب ليس في دواوين الاسلام وكيف والجماعة قد تكون كفارا وفساقا يموتون على ذلك

﴿ فصل ﴾ وأولياء الله تعالى هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسمان المقتصدون اصحاب اليمين والمقربون السابقون فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال الله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا — الى قوله — ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال (ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون) وقال (افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو)

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى »

والولي: من الولي (٢) وهو القرب، كما ان العدو من العدو، وهو البعد فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب اليه بما امر به من طاعاته وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين المقتصدون اصحاب اليمين وهم المتقربون الى الله تعالى بالواجبات والسابقون المقربون وهم المتقربون

(١) زاد بعضهم فيه : لاهم يدرون به ولا هو يدري بنفسه . قال علي القاري في موضوعاته وهو كلام باطل

(٢) الولي بوزن فلس القرب قاله في المصباح

بالنوافل بعد الواجبات . وذكرهم الله في سورة فاطر والواقعة والانسان والمطففين وأخبر ان الشراب الذي يروى به المقربون بشربهم اياه يمزج لاصحاب اليمين.
والولي المطلق هو من مات على ذلك فاما إن قام به الايمان والتقوى وكان في علم الله تعالى انه يرتد عن ذلك فهل يكون في حال ايمانه وتقواه وليا لله أو يقال لم يكن وليا لله قط لعلم الله بعاقبة هدايته؟ قولان للعلماء

وكذلك عندهم الايمان الذي يعقبه الكفر هل هو ايمان صحيح ثم يبطل بمنزلة ما يحبط من الاعمال بعد كماله ؟ أو هو ايمان باطل بمنزلة من أفطر قبل غروب الشمس في صيامه ومن أحدث قبل السلام في صلاته ايضا ؟ فيه قولان للفقهاء المتكلمين والصوفية والنزاع في ذلك بين أهل السنة والحديث من أصحاب الامام احمد وغيرهم ،

وكذلك يوجد النزاع فيه بين أصحاب مالك والشافعي وغيرهم . لكن أكثر أصحاب ابي حنيفة لا يشترطون سلامة العاقبة، وكثير من أصحاب مالك والشافعي شرط سلامة العاقبة، وهو قول كثير من متكلمي أهل الحديث كالاشعري ومن متكلمي الشيعة ويبنون على هذا النزاع هل ولي الله يصير عدو الله؟ وبالعكس؟ ومن أحبه الله ورضي عنه هل ابغضه الله وسخط عليه في وقت ما ؟ وبالعكس ؟ ومن أبغضه الله وسخط عليه هل أحبه الله ورضي عنه في وقت ما على القولين

والتحقيق وهو الجمع بين القولين فان علم الله القديم الازلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير، فمن علم الله منه انه يوافي حين موته بالايمان والتقوى فقد تعلقت به محبة الله وولايته ورضاه عنه ازلا وابدا

وكذلك من علم الله منه انه يوافي حين موته بالكفر فقد تعلق به بغض الله وعدواته وسخطه أزلا وأبدا لكن مع ذلك فان الله يبغض ماقام بالاول من كفر وفسوق قبل موته ، وقد يقال انه يبغضه ويمقته على ذلك كما ينهاه عن ذلك وهو سبحانه وتعالى يأمر بما فعله الثاني من الايمان والتقوى ويحب ما يأمر به ويرضاه . وقد يقال انه يوليه حينئذ على ذلك

والدليل على ذلك اتفاق الامة على ان من كان مؤمناً ثم ارتد فانه لا يحكم بان إيمانه الاول كان فاسدا بمنزلة من أفسد الصلاة والصيام والحج قبل الاكمال وانما يقال كما قال الله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقال (لئن أشركت ليحبطن عملك) وقال (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) ولو كان فاسدا في نفسه لوجب ان يحكم بفساد انكحته المتقدمة وتحريم ذبائحه وبطلان عباداته جميعها حتى لو كان قد حج عن غيره كان حجه باطلا ، ولو صلى مدة بقوم ثم ارتد كان لهم أن يعيدوا صلاتهم خلفه ، ولو شهد أو حكم ثم ارتد أن تفسد شهادته وحكمه ونحو ذلك. وكذلك ايضا الكافر اذا تاب من كفره ولو كان محبوبا لله وليا له في حال كفره لوجب ان يقضى بعدم احكام ذلك الكافر وهذه كلها خلاف ماثبت بالكتاب والسنة والاجماع

والكلام في هذه المسألة نظير الكلام في الآجال والارزاق ونحو ذلك وهي ايضا على قاعدة الصفات الفعلية وهي قاعدة كبيرة وعلى هذا يخرج جواب السائل .

فمن قال ان ولي الله لا يكون الا من وافاه حين الموت بالايمان والتقوى فالعلم بذلك أصعب عليه وعلى غيره . ومن قال قد يكون ولي الله من كان مؤمنا تقيا وان يعلم عاقبته فالعلم بذلك أسهل ومع هذا يمكن العلم بذلك للولي نفسه ولغيره ولكنه قليل ولا يجوز التهجم بالقطع على ذلك. فمن ثبتت ولايته لله بالنص وانه من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص. واما من شاع له لسان صدق من الامة بحيث اتفقت الامة على الثناء عليه فهل يشهد له بذلك ؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة والاشبه أن يشهد له بذلك ، هذا في الامر العام

وأما خواص الناس فقد يعلمون عواقب اقوام بما يكشفه الله لهم . لكن ليس هذا مما يجب التصديق العام به فان كثيرا مما يظن به انه حصل له هذا الكشف يكون ظانا في ذلك ظنا لا يغني من الحق شيئا ، واهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة ويخطئون أخرى كاهل النظر والاستدلال في موارد

الاجتهاد ولهذا وجب عليهم جميعهم ان يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله وان يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم وآراءهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله لا يكتفوا بمجرد ذلك ، فان سيد المحدثين المخاطبين الملهمين من هذه الامة هو عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كان تقع له وقائع يردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه التابع له الآخذ عنه الذي هو اكمل من المحدث الذي يحدث نفسه عن ربه ولهذا اوجب على جميع الخلق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته في جميع امورهم الباطنة والظاهرة، ولو كان احد يأتيه من الله ما لا يحتاج الى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيا عن الرسول في بعض دينه، وهذا من اقوال المارقين الذين يظنون ان من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى ومن قال هذا فهو كافر . وقد قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) فقد ضمن الله للرسول والنبي ان ينسخ ما يلقي الشيطان في امنيته ولم يضمن ذلك للمحدث ولهذا كان في الحرف الآخر الذي كان يقرأ به ابن عباس وغيره: وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته

ويحتمل والله أعلم أن يكون هذا الحرف متلوا حيث لم يضمن نسخ ما القى الشيطان فاما نسخ ما القى الشيطان فليس الا للانبياء والمرسلين اذ هم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى أن يستقر فيه شيء من القاء الشيطان، وغيرهم لا يجب عصمته من ذلك وان كان من أولياء الله المتقين، فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الاشياء خطأ مغفورا لهم بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقا، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة وقد قال الله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون * لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فقد وصفهم الله تعالى بانهم هم المتقون

والمتقون هم أولياء الله ومع هذا باجزائه ويكفر عنهم أسوء الذى عملوا (١) وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والايمان ، وانما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة واشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون انه من الاولياء ، فالرافضة تزعم أن الاثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب ، ويرون هـذا من أصول دينهم ، والغالية في المشايخ قد يقولون إن الولي محفوظ والنبي معصوم ، وكثير منهم لم يقل ذلك بلسانه لحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطيء ولا يذنب ، وقد يبلغ الغلو بالطائفتين الى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي أو أفضل منه ، وان زادوا الامر جعلوا له نوعاً من الالهية ، وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهئة للضلالات النصرانية فان في النصارى من الغلو في المسيح والرهبان والاحبار ماذمهم الله عليه في القرآن وجعل ذلك عبرة لنا لئلا نسلك سبيلهم ولهـذا قال سيدولد آدم « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

﴿ فصل ﴾ وأما الفقراء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فهم صنفان مستحقو الصدقات ومستحقو الفيء أما المستحقون للصدقات فقد ذكرهم الله في قوله (ان تبدوا الصدقات فنعماهي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفي قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) واذ ذكر في القرآن اسم المسكين وحده أو الفقير وحده كقوله (أو اطعام عشرة مساكين) فهما شيء واحد واذا ذكرا جميعا فهما صنفان

والمقصود بهما أهل الحاجة وهم الذين لا يجدون كفايتهم لا من مسألة ولا من كسب يقدرون عليه ، فمن كان كذلك من المسلمين استحق الاخـذ من صدقات المسلمين المفروضة والموقوفة والمنذورة والموصى بها ، وبين الفقهاء نزاع في بعض فروع هذه المسائل معروفة عند أهل العلم

«١» كذا في الاصل وهو محرف والمعنى الذي يدل عليه السياق انهم مع يسيئون ولكن الله يكفرعنهم أسوأ الذي عملوا أي لغلبة احسانهم على سيئاتهم

وضد هؤلاء — الاغنياء الذين تحرم عليهم الصدقة ثم هم نوعان نوع تجب عليه الزكاة وان كانت الزكاة تجب على من قد تباح له عند جمهور العلماء ، ونوع لا تجب عليه ، وكل منهما قد يكون له فضل عن نفقاته الواجبة وهم الذين قال الله فيهم (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) وقد لا يكون له فضل . وهؤلاء الذين رزقهم قوت وكفاف فهم أغنياء باعتبار غناهم عن الناس ، وهم فقراء باعتبار انه ليس لهم فضول يتصدقون بها ، وانما يسبق الفقراء الاغنياء الى الجنة بنصف يوم لعدم فضول الاموال التي يحاسبون على مخارجها ومصارفها فمن لم يكن له فضل كان من هؤلاء وان لم يكن من اهل الزكاة

ثم ارباب الفضول ان كانوا محسنين في فضول اموالهم فقد يكونون بعد دخول الجنة ارفع درجة من كثير من الفقراء الذين سبقوهم كما يقدم اغنياء الانبياء والصديقين عن السابقين وغيرهم على الفقراء الذين دونهم . ومن هنا قال الفقراء : ذهب اهل الدثور بالاجور ، وقيل لما ساواهم الاغنياء في العبادات البدنية وامتازوا عنهم بالعبادات المالية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهذا هو الفقير في عرف الكتاب والسنة

وقد يكون الفقراء سابقين ، وقد يكونون مقتصدين ويكونون ظالمي أنفسهم كالاغنياء . وفي كلا الطائفتين المؤمن الصديق ، والمنافق الزنديق

وأما المستأخرون فالفقير في عرفهم عبارة عن السالك الى الله تعالى كما هو الصوفي في عرفهم أيضا ، ثم منهم من يرجح مسمى الصوفي لانه عنده الذي قطع العلائق كلها ولم يتقيد في الظاهر بغير الامور الواجبة ، وهذه منازعات لفظية اصطلاحية ، والتحقيق ان المراد المحمود بهذين الاسمين داخل في مسمى الصديق او الولي والصالح ونحو ذلك من الاسماء التي جاء بها الكتاب والسنة فمن حيث دخل في الاسماء النبوية يترتب عليه من الحكم ما جاءت به الرسالة

وأما ما تميز به مما يعده صاحبه فضلا وليس بفضل أو مما يوالي عليه صاحبه غيره ونحو ذلك من الامور التي يترتب عليها زيادة الدرجة في الدنيا

فهي أمور مهدرة في الشريعة الا اذا جعلت من المباحات من الامور المستحبات ،(١) وأما ما يقترن بذلك من الامور المكروهة في دين الله من أنواع البدع والفجور فيجب النهي عنه كما جاءت به الشريعة

﴿ فصل ﴾ وأما الاسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فهذه الاسماء ليست موجودة في كتاب الله ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل الا لفظ الابدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان فيهم — يعني أهل الشام — الابدال أربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » ولا توجد هذه الاسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الامة قبولا عاماً وانما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها اما أثراً لها عن غيره أو ذكرا . وهذا الجنس ونحوه من العلم الذي قد التبس على أكثر المتأخرين حقه بباطله ، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده . وصار كثير من الناس فيه على طرفي نقيض قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل ، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق ، وانما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل ، وهذا تحقيق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ركوب هذه الامة سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة ، فان أهل الكتابين لبسوا الحق بالباطل ، وهذا هو التبديل

« ١ » كذا في نسختنا ولا يظهر له معنى جلي بغير تكلف ولعل اصله اذا جعلت المباحات مما ذكر من المستحبات بالنية الصالحة كالسياحة الاصل فيها الاباحة وقد تكون مستحبة اذا نوي بها امر مستحب شرعا كتحصيل العلوم والفنون النافعة غير الواجبة شرعا كما تكون واجبة وفنون الصناعات التي تتوقف عليها المصالح المعاشية والحربية من فروض الكفايات

والتحريف الذي وقع في دينهم، ولهذا يعتبر (١) الدين بالتبديل تارة وبالنسخ أخرى وهذا الدين لا ينسخ أبدا لكن يكون فيه من يدخل فيه من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفا عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين (٢)، ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون. فبالكتب المنزلة من السماء والآثار من العلوم المأثورة عن الانبياء يميز الله الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه،

وبذلك يتبين ان هذه الاسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقا في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه واطلاقه باطل، فان المؤمنين يقلون تارة ويكثرون أخرى ويقل فيهم السابقون المقربون تارة ويكثرون أخرى وينتقلون في الامكنة، ليس من شرط أولياء الله أهل الايمان والتقوى ومن يدخل منهم في السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الازمنة،

وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الاعداد، ومن الممتنع أن يكون منهم من كان في الكفار

ثم هاجر هو وأصحابه الى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة، ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة، وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعثمان وعمر وعلي وان كان (علي) قد خرج منها بعد أن بويع له فيها. ومن الممتنع انه قد كان بمكة فى زمنهم من يكون أفضل منهم

ثم ان الاسلام انتشر في مشارق الارض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين من لا يحصي عدده الا رب العالمين لا يحصون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف، ولما انقرضت القرون

---

(١) المنار: لعل الاصل: يتغير — بدل: يعتبر.

(٢) هذا حديث أوله «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه»

الثلاثة الفاضلة كان ايضا في القرون الخالية من اولياء الله المتقين بل من السابقين من جعل لهم عددا محصورا لازما فهو من المتظلمين(؟)عمدا أو خطأ

وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه الا الله تعالى فهو غياث المستغيثين لا يجوز لاحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل. ومن زعم أن أهل الارض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة بهم، الى الثلاثمائة والثلاثمائة الى السبعين، والسبعين الى الاربعين والاربعين الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) فكيف يكون المؤمنون يرفعون اليه حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب وهو القائل تعالى(واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)

وقال الخليل عليه السلام داعيا لاهل مكة (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لما رفعوا أصواتهم بالتلبية « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا ان الذي تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته »

وهذا باب واسع وقد علم المسلمون كلهم انه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون الى الله حوائجهم لا ظاهرا ولا باطنا بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علوا كبيرا

وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من امام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الايمان الا به ثم مع هذا يقولون انه كان

صبيا دخل السرداب من أكثر من اربعمائة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والاساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان ، واما الاوتاد فقد يوجد في كلام بعضهم أنه يقول فلان من الاوتاد ومعنى ذلك أن الله يثبت به من الدين و الايمان في قلوب من يهديهم الله به كما يثبت الارض باوتادها وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة فكل من حصل به تثبيت العلم والايمان في جمهور الناس كان بمنزلة الاوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ، ومن كان دونه كان بحسبه وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا اكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة لقول المنجمين في أوتاد الارض

﴿ فصل ﴾ وأما القطب فيوجد في كلامهم أيضا: فلان من الاقطاب و فلان قطب ، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين والدنيا باطنا أوظاهرا فهو قطب ذلك الامر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر داره أو قرية أو مدينة أمر دينها أو دنياها باطنا أو ظاهرا ، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدين دون مجرد صلاح الدنيا وهذا هو القطب في عرفهم ، وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا

وكذلك لفظ البدل جاء في كلام كثير منهم فاما الحديث المرفوع فالاشبه أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فان الايمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر ثم في خلافة علي قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام

ومعلوم أن الذين كانوا مع علي من الصحابة مثل عمار وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين مع معاوية وان كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما، فكيف يعتقد مع هذا ان الابدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام ؟ هذا باطل قطعاً، وان كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكل شيء قدرا

والكلام يجب أن يكون بالعلم و بالقسط فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) وفي قوله (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) ومن لم يتكلم بقسط وعدل خرج من قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله) ومن قوله (واذا قلتم فاعدلوا) ومن قوله (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)

والذين تكلموا باسم البدل أفردوه بمعان منها أنهم ابدال (١) ومنها انهم كلما مات منهم رجل ابدل الله مكانه رجلا ، ومنها انهم ابدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بالحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص باربعين ولا بأقل ولا اكثر ، ولا تحصر باهل بقعة من الارض ، وبهذا التحرير يظهر المعنى باسم النجباء. فالغرض ان هذه الاسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة واجماع السلف مثل تفسير بعضهم بان الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الارض من رزقهم ونصرهم .فان هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب وهو معدوم العين والاثر، وتشبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة ، وكذلك من فسر الاربعين الابدال بان الناس انما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل باسباب من اوكدها دعاء المسلمين المؤمنين وصلاتهم واخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا باربعين ولا بأقل ولا اكثر كما في الحديث المعروف ان سعد بن ابي وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ايسهم له مثل ما يسهم لضعفتهم ؟ فقال «ياسعد وهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم» وقد يكون النصر والرزق أسباب أخر فان الكفار ايضا والفجار ينصرون ويرزقون . وقد

(١) كذا وقد سقط منه المضاف اليه وأتذكر أنهم قالوا ابدال الانبياء

يجدب الله الارض على المؤمنين ويخيفهم من عـدوهم ، لينيبوا اليه ويتوبوا من ذنوبهم،فيجمع لهم بين غفران الذنوب،وتفريج الكروب،وقد يملي للكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا ويمدهم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون،إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر، واما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة،فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا)

﴿فصل﴾ وليس في أولياء الله المتقين بل ولا انبياء الله ولا المرسلين من كان غائب الجسد دائما عن أبصار الناس بل هذا من جنس قول القائل بان عليا في السحاب وان محمد بن الحنفية في جبال رضوى ، وان محمد بن الحسن في سرداب سامرا ، وان الحاكم في جبل مصر ، وان الابدال رجال الغيب في جبل لبنان . فكل هذا ونحوه من قول أهل الافك والبهتان،نعم قد تخرق العادة في حق الشخص فيغيب تارة عن أبصار الناس اما لدفع عدو عنه وإما لغير ذلك . وأما أنه يكون هكذا طول عمره فباطل ، نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده ومافيه من أسرار الله وأمانته وأنواره ومعرفته غيبا عن الناس، ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس، فهذا هو الواقع. وأسرار الحق بينه وبين اوليائه وأكثر الناس لا يعلمون

﴿ فصل ﴾ وقد بينا عن بطلان اسم الغوث مطلقا واندرج في ذلك غوث العرب والعجم ومكة والغوث السابع ، وكذلك لفظ خاتم الاولياء لفظ باطل لا أصل له ،وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي ، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي انه خاتم الاولياء كابن حمويه وابن العربي وغيرهما وكل منهم يدعي إنه أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الوجوه الى غير ذلك من الكفر والبهتان وكل طمعا (؟) في رياسة خاتم الانبياء

وقد غلطوا فان خاتم الانبياء انمـا كان أفضلهم للادلة الدالة على ذلك ، وليس كذلك للاولياء فان أفضل اولياء هذه الامة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وخير هذه الامة بعـد نبيها أبو بكر ثم عمر وخير قرونها القرن الذي بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم . وخاتم

الاولياء في الحقيقة هو آخر مؤمن تقي يكون من الناس ، وليس ذلك بخير الاولياء ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما

﴿ فصل ﴾ وأما هؤلاء القلندرية المحلقين اللحى فمن أهل الضلالة والجهالة وأكثرهم كافرون بالله ورسوله لا يرون وجوب الصلاة والصيام ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى، وهم ليسوا من أهل الملة ولا من أهل السنة ، وقد يكون فيهم من هو مسلم لكن مبتدع ضال أو فاسق فاجر . ومن قال ان قلندر كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وافترى بل قد قيل أصل هذا الصنف أنهم كانوا قوما من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد اداء الفرائض واجتناب المحرمات ، هكذا فسرهم الشيخ أبو حفص السهروردي في عوارفه . ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات بمنزلة الملامية الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زي الاغنياء ولبس العمامة ، فهذا قريب وصاحبه مأجور على نيته ، ثم حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة ثم زاد الامر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات ، وزعموا ان ذلك دخول منهم في الملامات. ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة . وتجب عقوبتهم جميعهم ومنعهم من هذا الشعار الملعون كما يجب ذلك في كل معين ببدعة أو فجور وليس ذلك مختصا بهم بل كل من كان من المتنسكة والمتفقهة والمتعبدة والمتفقرة والمتزهدة والمتكلمة والمتفلسفة ومن وافقهم من الملوك والاغنياء والكتاب والحساب والاطباء وأهل الديوان والعامة خارجا عن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله باطنا وظاهرا مثل من يعتقد ان شيخه يرزقه وينصره أو يهديه أو يغيثه ، أو كان يعبد شيخه ويدعوه ويسجد له ، أو كان يفضله على النبي صلى الله عليه وسلم تفضيلا مطلقا أو مقيدا في شيء من الفضل الذي يقرب الى الله تعالى ، أو كان يرى انه هو وشيخه مستغن عن متابعة الرسول ، فكل

هؤلاء كفار ان أظهروا ، ومنافقون ان ابطنوا ، وهؤلاء الاجناس وان كانوا قد كثروا في هذه الازمان، فلقلة دعاة العلم والايمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى وكثير منهم لم يبلغهم ذلك . وفي أوقات الفترات وأمكنة الفترات يثاب الرجل على ما معه من الايمان القليل ويغفر الله فيه لمن لم يقم الحجة عليه ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه كما في الحديث المعروف «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا صياما ولا حجا ولا عمرة الا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة ويقولون ادركنا آباءنا وهم يقولون لا إله الا الله» فقيل لحذيفة بن اليمان ما تغني عنهم لا إله الا الله ؟ فقال تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار

وأصل ذلك ان المقالة التي هي كفر بالكتاب أو السنة أو الاجماع يقال هي كفر قولا يطلق كما دل على ذلك الدليل الشرعي فان الايمان من الاحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم .ولا يجب ان يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنفى موانعه ، مثل من قال ان الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالاسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة، أو سمع كلاما(١) أنكره ولم يعتقد انه من القرآن ولا انه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان بعض السلف ينكر اشياء حتى يثبت عنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قالها وكما كان الصحابة يشكون في اشياء مثل رؤية الله وغير ذلك حتى يسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثل الذي قال اذا أنا مت فاسحقوني وذروني في اليم لعلي أضل عن الله ونحو ذلك فان هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقد عفا الله لهذه الامة عن الخطا والنسيان . وقد اشبعنا الكلام في القواعد التي في هذا الجواب في أماكنها والفتوى لا تحتمل البسط أكثر من هذا

(فصل) واما النذر للقبور أو لسكان القبور أو العاكفين على القبور سواء كانت قبور الانبياء أو الصالحين فهو نذر حرام باطل يشبه النذر للاوثان

(١) لعله سقط من هنا وصف لهذا بانه « من كلام الله أو رسوله (ص)»

سواء كان نذر زيت أو شمع أو غير ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم «لعن الله زوارت القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» (١) وقال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا (٢) وقال «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك» (٣) وقال «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من بعدي» (٤)

وقد اتفق ائمة الدين على انه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا أن تعلق عليها الستور، ولا ان ينذر لها النذور، ولا ان يوضع عندها الذهب والفضة. بل حكم هذه الاموال ان تصرف فى مصالح المسلمين اذا لم يكن لها مستحق معين. ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائنا من كان الميت فان ذلك من أكبر أسباب عبادة الاوثان كما قال تعالى (وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث و يعوق و نسرا وقد أضلوا كثيرا) وقال طائفة من السلف هذه أسماء قوم صالحين لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم عبدوهم. ومن نذر لها نذرا لم يجز له الوفاء لما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه» وعليه كفارة يمين (٥) ولما روى عنه انه قال «لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين» (٦)

ومن العلماء من لا يوجب عليه الا الاستغفار والتوبة. ومن الحسن ان يصرف ماندره في نظيره من المشروع مثل أن يصرف الدهن الى تنوير المساجد والنفقة

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ زائرات وسنده صحيح، و «لعن الله زوارات القبور» حديث آخر صحيح أيضا

(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة وفي بعض الروايات تعليل آخر لهذا اللعن غير تحذير المسلمين عن اتخاذ القبور مساجد وهو قولها: ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا

(٣) هذه جملة من حديث آخر لها في هذا الموضوع عند مسلم وهنالك الفاظ أخرى بمعنى واحد وصرحت بانه (ص) قال ذلك فى مرضه الاخير قبل وفاته بخمسة ايام (٤) رواه مالك فى الموطا (٥) رواه احمد والبخاري وأصحاب السنن الاربعة عن عائشة (٦) رواه احمد وأصحاب السنن عنها ايضا وهو صحيح

الى صالحة فقراء المؤمنين وان كانوا من أقارب الشيخ ونحو ذلك . وهذا الحكم عام في قبر نفيسة ومن هو أكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة والزبير وغيرهما بالبصرة وقبر سلمان الفارسي وغيره بالعراق والمشاهد المنسوبة الى علي رضي الله عنه والحسين وموسى وجعفر وقبر مثل معروف الكرخي واحمد بن حنبل وغيرهم رضي الله عنهم

ومن اعتقد ان بالنذور لها نفعا أو أجراً ما فهو ضال جاهل . فقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال « انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل »(١) وفي رواية « انما يلقي ابن آدم الى القدر » فاذا كان هذا في نذر الطاعة فكيف في نذر المعصية؟ فيعتقدون انها باب الحوائج الى الله وانها تكشف الضر وتفتح الرزق وتحفظ مصر فهذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك من اعتقد ذلك في غيرها كائنا من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا * قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له... * الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون * وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إله واحد فاياي فارهبون * وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا ، أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون)

والقرآن من أوله الى آخره وجميع الكتب والرسل انما بعثوا بأن يعبد الله

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمر الا الترمذي ومن حديث أبي هريرة الا أبا داود ـ وفي رواية « أنه لا يرد شيئا » بدل لا يأتي بخير

وحده لاشريك له ، وأن لا يجعلوا مع الله إلها آخر . والاله من يألهه القلب عبادة واستعانة وإجلالا وإكراما وخوفا ورجاء كما هو حال المشركين في آلهتهم، وان اعتقد المشرك ان ما يأله مخلوق مصنوع كما كان المشركون يقولون في تلبيتهم: لبيك لاشريك لك ،الا شريكا هو لك ،تملكه وماملك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي « يا حصين كم تعبد » ؟ قال أعبد سبعة آلهة ، ستة في الارض وواحد في السماء . قال « فمن ذا الذي تعبده لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء قال « ياحصين فاسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن » فلما أسلم قال « قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي »

﴿ فصل ﴾ وأما من زعم أن الملائكة والانبياء تحضر سماع المكاء والتصدية(١) محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر ، بل إنما تحضره الشياطين وهي تنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان قال : يارب اجعل لي بيتا قال : بيتك الحمام قال : اجعل لي قرآنا قال : قرآنك الشعر قال: اجعل لي مؤذنا قال : مؤذنك المزمار » وقد قال تعالى في كتابه مخاطبا للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) وقد فسر ذلك طائفة من السلف بصوت الغناء وهو شامل له ولغيره من الاصوات المستفزة لاصحابها عن سبيل الله . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية ذات المكاء والتصدية» وكيف يذر الشيطان(٢) عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين . ورأى بعض المشايخ المكاشفين ان شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ قال : هرب شيطانه وسقط ذلك الرجل

وهذه الامور لها أسرار وحقائق لا يشهدها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد

(١) المكاء بالضم هو صفير الطائر والتصدية الصوت الذي يجري مجرى الصدى وهو مايرجع عن غيره بالانعكاس وفسر بالتصفيق قال تعالى في الجاهلية (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) (٢) كذا في الاصل

الايقانية، ولكن من اتبع ماجاءت به الشريعة ، وأعرض عن السبل المبتدعة، فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة ، وان لم يعرف حقائق الامور . بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادي فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في مواطنه ، وان لم يعرف كيف يحصل ذلك وسببه ، ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالا عن الطريق ، فاما أن يهلك ، وإما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق ، والدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا نذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وهاديا الى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ملك السموات والارض . وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارعاد والصرخات المنكرة ونحو ذلك مايجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت ، إما وجد في الهوى مذموم ، وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم ، وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم ، الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعتري أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات المطربة قد تصير من جنس الاسكار بالاشربة المطربة فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه، فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ويوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه ، ولهذا قال من قال من العلماء : ان هؤلاء يجب عليهم القود أو الدية اذا عرف أنهم قتلوا بالاحوال الشيطانية الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفذونه من موادهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون

ومن هذا الجنس حال خفراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب ، وكما كان الخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة » وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون

لهم ملكة ظاهرة فان سلطان الباطن معناه السلطان الظاهر ولا يكون من اولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون. وما فعلوه من الاعانة على الظلم فهم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن باطنا وظاهرا ليس مستلزما لولاية الله تعالى بل قد يكون ولي الله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى ان ينصره الله، وقد يكون عدو الله مستضعفا وقد يكون سلطانا الى ان ينتقم الله منه، فخفراء التتار في الباطن من جنس التتار في الظاهر، هؤلاء في العباد، بمنزلة هؤلاء في الاجناد. وأما الغلبة فان الله قد يديل الكافرين على المؤمنين تارة كما يديل المؤمنين على الكافرين، كما كان يكون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع عدوهم، لكن العاقبة للمتقين. فان الله يقول (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهرا عليهم كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في اداء الواجبات باطنا وظاهرا. واما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنا وظاهرا، قال الله تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم) وقد قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز * الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

﴿ فصل ﴾ وأما هذه المشاهد المشهورة فمنها ما هو كذب قطعا مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف الى أبي بن كعب والمشهد الذي في ظاهرها المضاف الى أويس القرني والمشهد الذى في سفح لبنان المضاف الى نوح عليه السلام والمشهد الذي بمصر المضاف الى الحسين — الى غير ذلك من المشاهد التي يطول شرحها بالشام والعراق ومصر وسائر الامصار حتى قال طائفة من العلماء منهم عبد العزيز الكناني كل هذه القبور المضافة الى الانبياء لا يصح فيها الا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اثبت غيره قبر الخليل عليه السلام ايضا، واما مشهد علي فعامة العلماء على انه ليس قبره بل قد قيل انه قبر المغيرة بن شعبة وذلك انه انما

ظهر بعد نحو ثلثمائة سنة من موت علي في امارة بني بويه. وذكروا ان أصل ذلك حكاية بلغتهم عن الرشيد انه أتى الى ذلك المكان وجعل يعتذر الى من فيه مما جرى بينه وبين ذرية علي . وبمثل هذه الحكاية لا يقوم شيء فالرشيد أيضا لاعلم له بذلك ولعل هذه الحكاية إن صحت عنه فقد قيل له ذلك كما قيل لغيره

وجمهور أهل المعرفة يقولون ان عليا انما دفن في قصر الامارة أو قريبا منه وهذا هو السنة ، فان حمل ميت من الكوفة الى مكان بعيد ليس فيه فضيلة أمر غير مشروع فلا يظن بآل علي رضي الله عنهم انهم فعلوا به ذلك . ولا يظن أيضا ان ذلك خفي على أهل بيته والمسلمين ثلاثمائة سنة حتى أظهره قوم من الاعاجم الجهال ذوي الاهواء ، وكذلك قبر معاوية الذي بظاهر دمشق قد قيل انه ليس قبر معاوية وان قبره بحائط مسجد دمشق الذي يقال انه قبر هود

وأصل ذلك ان عامة هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلف لا يكاد يوقف منه على علم الا في قليل منها بعد بحث شديد وهذا لان معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الاسلام ، ولا ذلك من حكم الذكر الذي تكفل الله بحفظه حيث قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) بل قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله المبتدعون عندها مثل قوله الذي رواه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»

وقد اتفق ائمة الاسلام على انه لا يشرع بناء هذه المشاهد التي على القبور ولا يشرع اتخاذها مساجد ، ولا تشرع الصلاة عندها ، ولا يشرع قصدها لاجل التعبد عندها بصلاة واعتكاف أو استغاثة وابتهال ونحو ذلك ، وكرهوا الصلاة عندها ، ثم كثير منهم قال : الصلاة باطلة لاجل النهي عنها

وانما السنة اذا زار قبر مسلم ميت اما نبي أو رجل صالح أو غيرهما ان يسلم عليه ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما جمع الله بين هذين حيث يقول في المنافقين « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » فكان

دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم ، وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان اذا دفن الميت من أصحابه يقوم على قبره ثم يقول « سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل »

وفي الصحيح انه كان يعلم أصحابه ان يقولوا اذا زاروا القبور « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم »

وانما دين الله تعالى تعظيم بيوت الله وحده لاشريك له وهي المساجد التي تشرع فيها الصلوات جماعة وغير جماعة والاعتكاف وسائر العبادات البدنية والقلبية من القراءة والذكر والدعاء لله قال تعالى (وان المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) وقال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فهذا دين المسلمين الذين يعبدون الله مخلصين له الدين

وأما اتخاذ القبور أوثانا فهو من دين المشركين الذي نهى عنه سيد المرسلين، والله تعالى يصلح حال جميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا كما هو أهله

(تمت الرسالة)

(طبعت عن نسخة كتبت في بغداد بقلم محمد صالح المصطفى الوتار)
فيها شيء من الغلط والتحريف
عفا الله عنا وعنه

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن تيمية رضي الله تعالى عنه عن كراس وجد بخط بعض الثقات قد ذكر فيها كلام جماعة من الناس فيما فيه

(قال) بعض السلف: ان الله تعالى لطّف ذاته فسماها حقا، وكثفها فسماها خلقا، قال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل: إن الله ظهر في الاشياء حقيقة واحتجب بها مجازاً، فمن كان من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من اهل المجاز والفرق شهدها ستوراً وحجبا.

(قال) وقال في قصيدة له:

لقد حق لي رفض الوجود واهله وقد علقت كفاي جمعا بموجدي

ثم بعد مدة غير البيت بقوله * لقد حق لي عشق الوجود واهله * فسألته عن ذلك فقال: مقام البداية أن يرى الاكوان حجبا فيرفضها، ثم يراها مظاهر ومجالي فيحق له العشق لها، كما قال بعضهم:

أقبّل ارضا سار فيها جمالها فكيف بدار دار فيها جمالها

(قال) وقال ابن عربي عقيب انشاد بيتي أبي نواس

رقّ الزجاج وراقت الخمر فتشاكلا فتشابه الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

لبس صورة العالم فظاهره خلقه ، وباطنه حقه . وقال بعض السلف عين ماترى ، ذات لا ترى ، وذات لا ترى ، عين ماترى ، الله فقط والكثرة وهم . قال الشيخ قطب الدين ابن سبعين : ربٌّ مالك ، وعبد هالك ، وانتم ذلك ، الله فقط والكثرة وهم

للشيخ محي الدين ابن عربي

ياصورة انس سرها منائي ماخلقت للامر ترى لولائي
شئناك فأنشأناك خلقا بشراً تشهدنا في أكمل الاشياء

وطلب بعض أولاد المشايخ للحرمايرى من والده الحج(١) فقال له الشيخ طف يا بني ببيت ما فارقه الله طرفة عين

(وقال) قيل عن رابعة إنها حجت فقالت هذا الصنم المعبود في الارض وإنه ما ولجه الله ولا خلا منه . وفيه للحلاج

سبحان من أظهر ناسوته سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا مستتراً ظاهراً في صورة الاكل والشارب

قال وله

عقد الخلائق في الاله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وله أيضا

بيني وبينك إنيٌّ تزاحمني فارفع بحقك إنيي من البين

(قال) وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي الحلبي المقتول: بهذه البقية (٢) التي طاب الحلاج رفعها تصرف الاغيار في دمه . وكذلك قال

---

(١) كذا والعبارة غير ظاهرة فاملها محرفة (٢) لعلها الانية

السلف : الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة . قالوا لمحي الدين بن العربي

والله ماهي الا حيرة ظهرت   وبي حلفتُ وان المقسمَ اللهُ

وقال فيه : المنقول عن عيسى عليه السلام أنه قال : ان الله تبارك وتعالى اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها، واني أنا ذلك النور وآدم المرآة.

قال ابن الفارض في قصيدته (نظم السلوك) :

وشاهد اذا استجليت نفسك من ترى   بغير مراء في المرآة الصقيلة

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر   اليك بها عند انعكاس الاشعة

(قال) وقال ابن اسرائيل : الامر أمران . أمر بواسطة وأمر بغير واسطة . فالامر الذي بالوسائط قبله من شاء الله ورده من شاء الله تعالى ، والامر بغير واسطة لا يمكن خلافه ، وهو قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فقال له فقير ان الله تعالى قال لآدم بلا واسطة لا تقرب الشجرة فقرب وأكل ، فقال صدقت وذلك أن آدم انسان كامل . وكذلك قال شيخنا علي الحريري : آدم صفي الله تعالى كان توحيده ظاهراً وباطنا فقال فكان قوله تعالى « لا تأكل » ظاهراً ، وكان أمره « كل » باطناً ، فأكل فكذلك قوله تعالى. وابليس كان توحيده ظاهراً ، فأمر بالسجود لآدم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه وقال (اخرج منها) الآية

(قال) وقال شخص لسيدي حسن يا سيدي اذا كان الله يقول لنبيه (ليس لك من الامر شيء) ايش نكون نحن ؟ فقال سيدي ليس

الامر كما تظن ، قوله (ليس لك من الامر شيء) أيش غير الاثبات للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى * إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)

وفيه لأوحد الدين الكرماني

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

غيره

لا تحسب بالصلاة والصوم تنال قربا ردنوا من جمال وجلال
فارق ظلم الطبع تكن متحداً بالله والا كلٌّ دعواك محال

غيره للحلاج

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
يشاهد حقا حين يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر

للشيخ نجم الدين بن اسرائيل

الكون يناديك أما تسمعني من ألف أشتاتي ومن فرّقني
أنظر لتراني منظرا معتبرا مافيّ سوى وجود من أوجدني

وله

ذرات وجود هي للحق شهود أن ليس لموجود سوى الخلق وجود
والكون وان تكثرت عدته منه الى علاه يبدو ويعود

وله

برئت اليك من قولي وفعلي ومن ذاتي براءة مستقيل
وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل

للعفيف التلمساني

أحن اليه وهو قلبي وهل يُرَى سوايَ أخو وَجديحن لقلبه
ويحجب طرفي عنه اذ هو ناظري وما بُعده الا لإفراط قربه

قال بعض السلف : التوحيد لا لسان له والالسنة كلها لسانه .

(وفيه) لا يعرف التوحيد الا الواحد ، ولا تصح العبارة عن التوحيد ، وذلك أنه لا يعبر عنه الا بغير ، ومن أثبت غيراً فلا توحيد له

(وفيه) سمعت من الشيخ محمد بن بشر النواوي أنه ورد سيدنا الشيخ علي الحريري الى جامع نوى قال الشيخ محمد فجئت فقبلت الارض بين يديه وجلست فقال يابنيّ وقفتُ مدة مع المحبة فوجدتها غير المقصود لان المحبة لا تكون الا من غير لغير وغير ما ثمّ ، ثم وقفت مدة مع التوحيد فوجدته كذلك لان التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ، لو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً

(وفيه) سمعت من الشيخ نجم الدين بن اسرائيل مما أسر الي أنه سمع من شيخنا الشيخ علي الحريري في العام الذي توفي فيه قال يا نجم رأيت لهاتي الفوقانية فوق السموات وحنكي تحت الارضين ، ونطق لساني بلفظة لو سمعت مني ما وصل الى الارض من دمي قطرة. فلما كان بعد ذلك بمدة. قال شخص فى حضرة سيدي الشيخ حسن بن الحريري ياسيدي حسن اما خلق الله أقل عقلا ممن ادعى أنه إله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما . فقلت أنا هذه المقالة ما يقولها الا اجهل خلق الله او اعرف خلق الله . فقال صدقت . وذلك انه سمعت من جدك يقول رايت كذا وكذا . فذكر ما روا نجم الدين عن الشيخ

(وفيه) قال بعض السلف : من كان عينَ الحجاب على نفسه فلا

حاجب ولا محجوب

(والمطلوب من السادة العلماء) ان يبينوا لنا هذه الاقوال وهل هي حق او باطل ؟ وما يعرف به معناها وما يبين انها حق أو باطل وهل الواجب انكارها ؟ او اقرارها ؟ او التسليم لمن قالها ؟ وهل لها وجه سائغ ؟ وما حكم من اعتقد معناها . إما مع المعرفة بحقيقتها ، وإما مع التأويل المجمل لمن قالها والمتكلمون ارادوا لها معنى صحيحا يوافق العقل والنقل ويمكن تأويل ما يشكل منها وحملها على ذلك المعنى ؟ وهل الواجب بيان معناها وكشف مغزاها ، اذا كان هناك ناس يؤمنون بها ، ولا يعرفون حقيقتها ؟ أم ينبغي السكوت عن ذلك وترك الناس يعظمونها ويؤمنون بها مع عدم العلم بمعناها ؟

(فأجاب شيخ الاسلام) أبو العباس تقي الدين احمد ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه :

الحمد لله رب العالمين . هذه الاقوال المذكورة تشتمل على اصلين باطلين مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصاري مخالفتهما للمعقول والمنقول

(أحدهما) الحلول والاتحاد وما يقارب ذلك كالقول بوحدة الوجود كالذين يقولون إن الوجود واحد فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق، كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض صاحب القصيدة التائية (نظم السلوك) وعامر البوصيري السيواسي الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض

والتلمساني الذي شرح مواقف النفري (١) وله شرح الاسماء الحسنى على طريقة هؤلاء وسعيد الفرغاني الذي شرح قصيدة ابن الفارض والششتري صاحب الارحال الذي هو تلميذ ابن سبعين وعبد الله البلباني وابن أبي منصور المصري صاحب (فك الازرار، عن اعناق الاسرار) وامثالهم

ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعم أن الاعيان ثابتة في العدم غنية عن الله في انفسها، ووجود الحق هو وجودها، والخالق مفتقر الى الاعيان في ظهور وجودها، وهي مفتقرة اليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده، وقوله مركب من قول من قال المعدوم شيء وقول من يقول وجود المخلوق هو وجود الخالق. ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع

وفيهم من يفرق بين الاطلاق والتعيين كما يقوله القونوي ونحوه فيقولون ان الواجب هو الموجود المطلق لا بشرط. وهذا لا يوجد مطلقا إلا في الاذهان فما هو كلي في الاذهان لا يكون في الاعيان إلا معينا، وان قيل إن المطلق جزء من المعنى لزم أن يكون وجود الخالق جزءاً من وجود المخلوقات، والجزء لا يبدع الجميع ويخلقه، فلا يكون الخالق موجوداً

ومن قال ان الباري هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق كما يقوله

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ والتلمساني شارحه عفيف الدين سليمان بن علي الصوفي الشاعر صاحب الديوان المشهور توفي سنة ٦٩٠

ابن سيناوأتباعه فقوله أشد فساداً فان المطلق بشرط الاطلاق لايكون إلا في الاذهان لا الاعيان ، فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول

وآخرون يجعلون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة يقولها (١) المتفلسفة أو قريب من ذلك كما يقوله ابن سبعين وامثاله

وهؤلاء اقوالهم فيها تناقض وفساد ، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق ، بخلاف من يقول بالمعنى كالنصارى والغالية من الشيعة الذين يقولون بالاهية علي أو الحاكم أو الحلاج أو يونس القيني أو غير هؤلاء ممن ادعيت فيه الالهية ، فان هؤلاء قد يقولون بالحلول المقيد الخاص ، واولئك يقولون بالاطلاق والتعميم ، ولهذا يقولون النصارى انما كان خطأهم للتخصيص ، وكذلك يقولون عن المشركين عباد الاصنام انما كان خطأهم لأنهم اقتصروا على عبادة بعض المظاهر دون بعض ، وهم يجوزون الشرك وعبادة الاصنام مطلقاً على وجه الاطلاق والعموم ، ولا ريب أن في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من اليهود والنصاري ، وهذا المذهب كثير في كثير من المتأخرين وكان طوائف من الجهمية يقولونه. وكلام ابن عربي في (فصوص الحكم) وغيره(٢) وكلام ابن سبعين وصاحبه الششتري وقصيدة ابن الفارض (نظم السلوك) وقصيدة عامر البصري وكلام العفيف التلمساني وعبد الله البلبالي والصدر القونوي وكثير

(١) لعل أصله التي يقولها الخ «٢» قوله وكلام ابن عربي مبتدأ خبره مع ما عطف عليه قوله بعد : وهو مبني على هذا المذهب

من شعر اسرائيل ابن وما ينقل عن شيخه الحريري ، وكذلك يوجد نحو منه في كلام كثير من الناس غير هؤلاء هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب ، فان هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال ، ما حير كثيراً من الرجال

وأصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مباينة الله سبحانه للمخلوقات وعلوه عليها ، وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها ، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال . فالسلف والأئمة يقولون : إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه (١) كما دل على ذلك الكتاب والسنة

---

(١) هذه الكلمة المأثورة بالروايات الصحيحة المسندة الى أئمة السلف قد جمعت في صفات الله تعالى بين قبول نصوص الكتاب والسنة وبين التنزيه المطلق الذي اراده الجهمية والمعتزلة وبعض نظار الاشعرية بتأويل النصوص بالتحكم والتكلف المؤدي الى تعطيلها وجعلها كاللغو حتى لا يذكرونها في عقائدهم ويسمون من يذكرها على اطلاقها مشبها . فمباينة الله تعالى لخلقه ابلغ ما يقال في تنزيهه عن مشابهتهم في شأن ما من شؤون الربوبية والالوهية او مشابهته لهم في شأن ما من شؤون المخلوقين، فعلوه تعالى على خلقه واستواؤه على عرشه فوق جميع سماواته لا يقتضي مع ما ذكر من المباينة أن يكون محصوراً أو محدوداً أو متحيزاً، إنما علوه سبحانه علو مباينة لها لا كعلو بعضها على بعض، فان هذا امر إضافي لا حقيقة له في نفسه، يعترف بهذا جميع الفلاسفة وعلماء المعقول في كل زمان

وإجماع سلف الامة . وكما علم العلو والمباينة بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه في إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى

والقول الثاني : قول معطلة الجهمية ونفاتهم وهم الذين يقولون لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم

والقول الثالث : قول حلولية الجهمية الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء فان الحلول أغلب على عُبّاد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم ، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء ، وذلك لان العبادة تتضمن القصد والطلب والارادة والمحبة وهذا لا يتعلق بمعدوم . فان القلب يتطلب موجوداً فاذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه

وأما الكلام والعلم والنظر فيتعلق بموجود ومعدوم. فاذا كان أهل الكلام والنظر يصفون الرب بصفات السلب والنفي التي لا يوصف بها الا المعدوم لم يكن مجرد العلم والكلام ينافي عدم المعلوم المذكور بخلاف القصد والارادة والعبادة فانه ينافي عدم المعبود . ولهذا تجد الواحد من هؤلاء عند نظره وبحثه يميل الى النفي وعند عبادته وتصوفه يميل الى الحلول واذا قيل هذا ينافي ذلك. قال ذلك مقتضى عقلي ونظري ، وهذا مقتضى

ذوقي ومعرفي . ومعلوم أن الذوق والوجدان لم يكن موافقا للعقل والنظر وإلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما

والقول الرابع : قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان . وهـذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ وأمثاله . وقد ذكر الاشعري في (المقالات) هـذا عن طوائف ويوجد في كلام السالمية كأبي طالب المكي وأتباعه مثل أبي الحكم ابن برجان وأمثاله مايشير الى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا

وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية . ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه كما في قول الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال: التوحيد افراد المحدث عن القدم ، فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث. وقد أنكر عليه ذلك ابن عربي صاحب الفصوص وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد ، لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب، بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد ، وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث الا من يكون ليس بقديم ولا محدث. وهذا جهل فان المعرفة بأن هذا ليس ذاك والتمييز بين هذا وذاك لا يقتضي أن يكون العارف المميز بين الشيئين ليس هو أحد الشيئين بل الانسان يعلم أنه ليس هو ذاك الانسان الآخر مع أنه أحدهما فكيف لا يعلم أنه غير ربه وان كان هو أحدهما؟.

الاصل الثاني

الاحتجاج بالقدر على المعاصي على المأمور(١) وفعل المحظور فان القدر يجب الايمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعده ووعيده

والناس الذين ضلوا في القدر ثلاثة اصناف قوم آمنوا بالامر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر وزعموا ان من الحوادث مالا يخلقه الله كالمعتزلة ونحوهم، وقوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على انه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان الله خالق كل شيء وربه ومليكه، لكن عارضوا بهذا الامر والنهي وسموا هذا حقيقة وجعلوا ذلك معارضا للشريعة، وفيهم من يقول ان مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب، وان العارف يستوي عنده هذا وهذا، وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد فانهم لا يسوون بين من أحسن اليهم وبين من ظلمهم ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر والعاجز ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم بل يفرقون بينهما (؟) ويفرقون ايضا بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الامر والنهي ، فلا يقفون لا مع القدر ولا مع الامر بل كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدري ، وعند المعصية جبري ، أي مذهب وافق مذهبك(٢) تمذهبت به فلا يوجد أحد بالفلك(؟) في ترك الواجب وفعل المحرم ألا وهو متناقض لا يجعله حجة في مخالفة هواه بل يعادي من آذاه وان كان محقا ويحب من وافقه على غرضه وان كان عدوا لله، فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجده ، لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبته

---

(١) لعله : أي ترك المأمور (٢) لعله هواك أو غرضك

وبغضه وولايته وعداوته، اذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فان ذلك مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه، وللشر الذي لا خير فيه. اذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من باغ ولا أخذ لمظلوم من ظالم، ولفعل كل أحد مايشتهيه، من غير معارض يعارضه فيه، وهذا فيه من الفساد، مالا يعلمه إلا رب العباد.

فمن المعلوم بالضرورة أن الافعال تنقسم الى ماينفع العباد ومايضرهم والله قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، فمن لم يتبع شرع الله ودينه اتبع ضده من البدع والاهواء، وكان احتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه (١) لزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير، من أهل المعاذير،

(وان قال) أنا اعذر بالقدر من شهده وعلم أن الله خالق فعله ومحركه لا من غاب عن المشهود، أو كان من أهل الجحود. (قيل) فيقال لك وشهود هذا وجحود هذا من القدر فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا. فان كان موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محموداً وبعضهم مذموما مع شمول القدر لهما، وهذا رجوع الى

---

(١) الظاهر أن يقال: ولزمه - كقوله وكان احتجاجه عطفا على قوله اتبع ضده - الذي هو جواب فمن لم يتبع شرع الله ودينه. ولو قال: واتبع ضده، عطفا على قوله: لم يتبع - لكان قوله: لزمه الخ هو جواب الشرط ولم يصح عطفه

الفرق ، واعتصام بالامر والنهي ، وحينئذ فقد نقضت اصلك وتناقضت فيه . وهذا لازم لكل من ممك فيه. ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة ،

فمن جعل الايمان بالقدر وشهوده عذراً في ترك الواجبات وفعل المحظورات(١) بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات ، وهذه لاتنهض بدفع جميع السيئات، فلو اشرك مشرك بالله وكذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناظراً الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافرا لتكذيبه ، ولا مانعا من تعذيبه ، فان الله لايغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقراً بالقدر وناظراً اليه، أو مكذبا به أو غافلا عنه ، بل قد قال ابليس (فبما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين) فأصر واحتج بالقدر، فكان ذلك زيادة في كفره ،وسببا لمزيد عذابه. وأما آدم عليه السلام فانه قال (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) فمن استغفر وتاب كان آدميا سعيداً . ومن أصر واحتج بالقدر كان ابليسيا شقيا . وقد قال تعالى لابليس (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)

وهذا الموضع ضل فيه كثير من الخائضين في الحقائق فانهم يسلكون انواعا من الحقائق التي يجدونها ويذوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا

(١) سقط من هنا جواب : فمن جعل – والمعنى من جعل الايمان بالقدر عذرا لمن عصى الله واشرك به – لزمه كون هذا الايمان منكرا من المنكرات وضلالة من الضلالات ، وليس الامر كذلك – بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات الخ

فيه الامر فيضاهون المشركين الذين كانوا يبتدعون ديناً لم يشرعه الله ويحتجون بالقدر على مخالفة امر الله

(والصنف الثالث) من الضالين في القدر من خاصم الرب في جمعه بين القضاء والقدر والامر والنهي كما يذكر ذلك على لسان ابليس، وهؤلاء خصماء الله واعداؤه . وأما أهل الايمان فيؤمنون بالقضاء والقدر والامر والنهي، ويفعلون المأمور، ويتركون المحظور، ويصبرون على المقدور، كما قال تعالى (من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين) فالتقوى تتناول فعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر يتضمن الصبر على المقدور. وهؤلاء اذا أصابتهم مصيبة في الارض أو في انفسهم علموا أن ذلك في كتاب ، وان ماأصابهم لم يكن ليخطئهم ، وما اخطأهم لم يكن ليصيبهم ، فسلموا الامر لله وصبروا على ما ابتلاهم به . وأما اذا جاء امر الله فانهم يسارعون في الخيرات ، ويسابقون الى الطاعات ، ويدعون ربهم رغبا ورهبا ، ويجتنبون محارمه ، ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون اليه من تقصيرهم فيما أمر وتعديهم لحدوده ، علما منهم بأن التوبة فرض على العبد دائما واقتداء بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح « أيها الناس توبوا الى ربكم فو الذي نفسي بيده اني لاستغفر الله وأتوب اليه اكثر من سبعين مرة » وآخر سورة نزلت عليه (اذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)

*

واذا عرف هذان الاصلان فمليهما يبني جواب مافي هذا السؤال من الكلمات ، ويعرف مادخل في هذه الامور من الضلالات

بدء الجواب عن كلمات أهل الوحدة

فقول القائل «ان الله لطّف ذاته فسماها حقا، وكثّفها فسماها خلقا» هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد. وهو باطل فان اللطيف ان كان هو الكثيف فالحق هو الخلق ولا تلطيف ولا تكثيف. وان كان اللطيف غير الكثيف فقد ثبت الفرق بين الحق والخلق، وهذا هو الحق. وحينئذ فالحق لا يكون خلقا فلا يتصور أن ذات الحق يكون خلقا بوجه من الوجود كما أن ذات المخلوق لاتكون ذات الخالق بوجه من الوجوه

وكذلك قول الآخر ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازا فانه ان كان الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد، وان لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور واحتجاب

ثم قوله «فمن كان من أهل الحق شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل الفرق شهدها ستورا وحجبا» كلام ينقض بعضه بعضا فانه ان كان الوجود واحدا لم يكن أحد الشاهدين عين الآخر ولم يكن الشاهد عين المشهود ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء: من قال ان في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له آخر فمن الذي يكذب؟ فأفحمه. وهذا لانه اذا لم يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان (هو) الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب. وهكذا يصرح به أئمة هؤلاء كما يقول صاحب الفصوص وغيره انه موصوف بجميع صفات الذم، وانه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمصائب والنقائص، كما انه هو الذي يوصف بنعوت المدح والذم، قال: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات

الثبوتية والسلبية سواء كانت محمودة عقلا وعرفا وشرعا أو مذمومة عقلا وعرفا وشرعا، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة. وقال ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وقد اخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق، فكلها حق له كما أن صفات المخلوق حق للخالق

وقول القائل * لقد حق لي عشق الوجود واهله * يقتضي أن يعشق ابليس وفرعون وهامان وكل كافر، ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعذرة وكل خبيث، مع انه باطل شرعا وعقلا فهو كاذب في ذلك متناقض فيه، فانه لو آذاه مؤذ آلمه ألما شديدا لا يغضب محرم شرعا(١)

وما ذكر عن بعضهم من قوله: «عين ماترى ذات لاترى، وذات لاترى عين ماترى» هو من كلام ابن سبعين وهو من أكابر أهل الالحاد، أهل الشرك والسحر والاتحاد، وكان من أفاضلهم واذكيائهم واخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة

وقول ابن عربي: ظاهره خلقه، وباطنه حقه. هو قول أهل الحلول وهو متناقض في ذلك فانه يقول بالوحدة فلا يكون هناك موجودان أحدهما باطن والآخر ظاهر. والتفريق بين الوجود والعين، تفريق لاحقيقة له بل هو من اقوال أهل الكذب والمين

وقول ابن سبعين: «ربٌّ مالك، وعبد هالك، وانتم ذلك، الله فقط والكثرة وهم» موافق لاصله الفاسد في أن وجود المخلوق وجود الخالق

---

(١) كذا — وقد سقط منه جواب لو آذاه الخ والمعنى امتنع ان يعشقه طبعا. ولا بد من سقوط كلام آخر يفهم منه ان فعل من لا يغضب اذا عصي الله محرم شرعا

ولهذا قال: واتم ذلك، فانه جعل العبد هالكا أي لا وجود له فلم يبق إلا وجود الرب ، فقال واتم ذلك، وكذلك قال: الله فقط والكثرة وهم. فانه على قوله لاموجود إلا الله . ولهذا كان يقول هوواصحابه فيذكرهم ليس إلا الله بدل قول المسلمين لا إله إلا الله وكان يسميهم الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني الليسية ويقول احذروا هؤلاء الليسية. ولهذا قال:الكثرة وهم . وهذا تناقض ، فان قوله وهم يقتضي متوهما فان كان المتوهم هو الوهم فيكون الله هو الوهم وان كان المتوهم هو غير الوهم فقد تعدد الوجود. وكذلك: ان كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل، وهذا مع انه كفر فانه يناقض قوله الوجود واحد. وان كان المتوهم غيره فقد اثبت غير الله وهذا يناقض اصله. ثم متى اثبت غيرا لزمت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقا

والبيتان المذكوران عن ابن عربي مع تناقضهما مبنيان على هذا الاصل فان قوله * ياصورة انس سرها معنائي * خطاب على لسان الحق يقول لصورة الانسان يا صورة انس سرها معنائي . أى هي الصورة وانا معناها . وهذا يقتضي أن المعنى غير الصورة وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنى والصورة فان كان وجود المعنى هو وجود الصورة كما يصرح به فلا تعدد. وان كان وجود هذا غير وجود هذا تناقض وقوله * ماخلقك للامر ترى لولائي * كلام مجمل يمكن أن يراد به معنى صحيح أي لولا الخالق لما وجد المكلفون ولا خلق لامر الله. لكن قد عرف انه لا يقول بهذا . فان مراده الوحدة والحلول والاتحاد . ولهذا قال .

شئناك فانشأناك خلقا بشرا كي تشهدنا في اكمل الاشياء

فبين أن العبيد يشهدونه في اكمل الاشياء وهي الصورة الانسانية وهذا يشير الى الحلول وهو حلول الحق في الخلق لكنه متناقض في كلامه فانه لا يرضى بالحلول ولا يثبت موجودين حل أحدهما في الآخر بل عنده وجود الحال هو عين وجود المحل لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود، فوجود الحق حل في ثبوت الممكنات وثبوتها حل في وجوده وهذا الكلام لا حقيقة له في نفس الامر فانه لا فرق بين هذا وهذا. لكنه هو مذهبه المتناقض في نفسه

وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الاب: فقال طف ببيت ما فارقه الله طرفة عين قط. فهذا كفر باجماع المسلمين. فان الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله. وأما الطواف بالانبياء والصالحين ؛ فحرام باجماع المسلمين. ومن اعتقد ذلك دينا فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره، وقوله ما فارقه الله طرفة عين قط ان أراد به الحلول المطلق العام فهو مع بطلانه متناقض فانه حينئذ لا فرق بين الطائف والمطوف به. فلم يكن طواف هذا بهذا اولى من العكس، بل هذا يستلزم أنه يطاف بالكلاب والخنازير والكفار والنجاسات والاقذار وكل خبيث وكل ملعون لان الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله. وقد قال مرة شيخهم الشيرازي لشيخه التلمساني وقد مر بكلب اجرب ميت: هذا أيضا من ذات الله. فقال: وثم خارج عنه ؟ ومر التلمساني ومعه شخص فاجتازا بكلب فركضه الآخر برجله فقال لا تركضه فانه منه. وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين فانه متناقض فان الراكض والمركوض واحد، وكذلك الناهي والمنهي،

فليس شيء من ذلك باولى بالامر والنهي من شيء، ولا يعقل مع الوحدة تعددوا اذا قيل مظاهر ومجالى. قيل ان كان لها وجود غير وجود الظاهر المتجلي فقد ثبت التعدد وبطلت الوحدة وان كان وجودهذا هو وجود هذا لم يبق بين الظاهر والمظهر والمتجلي فيه (١) فرق، وان أراد بقوله ما فارقه الله طرفة عين الحلول الخاص كما تقول النصارى في المسيح لزم ان يكون هذا الحلول ثابتا له من حين خلق كما تقوله النصارى في المسيح فلا يكون ذلك حاصلا له بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه وحينئذ فلا يكون فرق بينه وبين غيره من الآدميين فلماذا يكون الحلول ثابتا له دون غيره؟ وهذا شر من قول النصاري فان النصارى ادعوا ذلك في المسيح لكونه خلق من غير أب والشيوخ لم يفضلوا في نفس التخليق وانما فضلوا بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد وهذا امر حصل لهم بعد ان لم يكن فاذا كان هذا هو سبب الحلول وجب أن يكون الحلول فيهم حادثا لا مقارنا لخلقهم وحينئذ فقولهم أن الرب مافارق ابدانهم أو قلوبهم طرفة عين قط كلام باطل كيف ماقدر

وأما ماذكر عن رابعة من قولها عن البيت انه الصنم المعبود في الارض. فهو كذب على رابعة ولو قال هذا من قاله لكان كافراً يستتاب فان تاب وإلا قتل وهو كذب فان البيت لا يعبده المسلمون ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة اليه، وكذلك مانقل من قولها: والله ماولجه الله ولا خلا منه . كلام باطل عليها، وعلى مذهب الحلولية لافرق بين ذلك البيت وغيره في هذا المعنى فلاي مزية يطاف به ويصلي

(١) لعل اصله :والمجلى والمتجلي فيه

اليه ويحج دون غيره من البيوت ؟

(وقول القائل) ماولج الله فيه ـ كلام صحيح، وأماقوله ماخلامنه فان أراد أن ذاته حالة فيه أو ما يشبه هذا المعنى فهو باطل وهو مناقض لقوله ماولج فيه ، وان أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوج ولم يزل غير حال فيه فهذا مع انه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت اذا الموجودات كلها عندهم كذلك

وأما البيتان المنسوبان الى الحلاج

سبحان من اظهر ناسوته　　سر سنا لاهوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهرا　　في صورة الآكل والشارب

فهذه قد تعين بها الحلول الخاص كما تقوله النصاري في المسيح وكان أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج يذب عنه فلما انشد هذين البيتين قال لعن الله من قال هذا وقوله

عقد الخلائق في الاله عقائدا　　وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فهذا البيت يعرف لابن عربي فان كان قدسبقه اليه الحلاج وقد تمثل هو به فاضافته الي الحلاج صحيحة وهو كلام متناقض فان الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد . والقضيتان المتناقضتان بالسلب والايجاب على وجه يلزم من صدق احداهما كذب الاخرى لا يمكن الجمع بينهما وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل وانهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول. ولا ريب أن هذا من أفسد ماذهب اليه أهل السفسطة ومعلوم أن الانبياء عليهم السلام اعظم من الاولياء ، والانبياء جاؤا بما تعجز

المعقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه فهم يخبرون بمحارات العقول ، لا بمحالات العقول ، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات العقول صحيحة ، وان الجمع بين النقيضين صحيح ، وأن ماخالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح . ولا ريب أنهم أصحاب خيال واوهام يتخيلون في نفوسهم اموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتة في الخارج وانما هي من خيالاتهم والخيال الباطل يتصور فيه مالا حقيقة له ولهذا يقولون ارض الحقيقة هي ارض الخيال كما يقول ذلك ابن عربي وغيره ولهذا يحكون حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض وكان من شيوخهم. وأما قوله

بيني وبينك إنيّ تزاحمني فارفع بحقك إني من البين

فان هذا الكلام يفسر بمعان ثلاثة يقوله الزنديق ، ويقوله الصديق فالاول مراده به رفع ثبوت إنيته حتى يقال إن وجوده هو وجود الحق وانيته هي انية الحق فلا يقال إنه غير الله ولا سوى . ولهذا قال سلف هؤلاء الملاحدة إن الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة، فقيل وهذا القول مع مافيه من الكفر والالحاد فهو متناقض ينقض بعضه بعضا فان قوله * بيني وبينك اني تزاحمني * خطاب لغيره واثبات انية بينه وبين ربه وهذه اثبات امور ثلاثة وكذلك يقول * فارفع بحقك اني من البين * طلب من غيره ان يرفع انيته وهذا اثبات لامور ثلاثة

وهذا المعنى الباطل هو الفناء الفاسد وهو الفناء عن وجود السوى فان هذا فيه طلب رفع الانية وهو طلب الفناء، والفناء ثلاثة أقسام فناء عن وجود السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن عبادة السوى فالاول هو فناء أهل

الوحدة الملاحدة كما فسروا به كلام الحلاج وهو ان يجعل الوجود وجودا واحداوأما الثاني وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكي عن ابي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره، فيظن من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكي ان رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك إني. فهذا حال من عجز عن شيء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله فمن طلب رفع انيته بهذا الاعتبار لم يكن محمودا على هذا ولكن قد يكون معذورا

وأما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوى فهذا حال النبيين وأتباعهم وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه. وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه. فهذا تحقيق توحيد الله وحده لاشريك له وهو الحنيفية ملة ابراهيم ويدخل في هذا أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب الا لله، ولا يبغض الا لله، ولا يعطي الا لله، ولا يمنع الا لله. فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه

ومن قال * فارفع بحقك انى من البين * بمعنى أن يرفع هوى

نفسه فلا يتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته بل يكون عمله لله لا لهواه وعمله بالله وبقوته لا بحوله وقوته كما قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فهذا حق محمود. وهذا كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت: خدايي (١) كيف الطريق اليك؟ قال: اترك نفسك وتعال- أي اترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك فيكون عملك لله واستعانتك بالله كما قال (فاعبده وتوكل عليه)

والقول المحكي عن ابن عربي * وبي حلفت وان المقسم الله * هو أيضا من الحادهم إفكهم: جعل نفسه حالفة بنفسه، وجعل الحالف هو الله فهو الحالف والمحلوف به كما يقولون: أرسل من نفسه الى نفسه رسولا بنفسه فهو المرسل والمرسل اليه والرسول وكما قال ابن الفارض في قصيدته نظم السلوك:

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان بي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

الى أن قال:

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي حنت
وقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
فان دعيت كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت

وأما المنقول عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه فهو كذب عليه وهو كلام ملحد كاذب وضعه على المسيح وهذا لم ينقله عنه مسلم ولا

(١) خدا- بضم الخاء اسم الجلالة بالفارسية واضافه الى ياء المتكلم أي إلهي

نصراني ، فانه لا يوافق قول النصارى قوله أن الله اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها واني أنا ذلك النور وآدم المرآة . فهذا الكلام مع ما فيه من الكفر والالحاد متناقض وذلك أن الله سبحانه يرى نفسه كما يسمع كلام نفسه، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد مخلوق لله قال لاصحابه « اني أراكم من ورائي كما أراكم من بين يدي » فاذا كان المخلوق قد يرى ما خلفه وهو أبلغ من رؤية نفسه فالخالق تعالى كيف لا يرى نفسه؟ وأيضا فان شوقه الى رؤية نفسه حتى خلق آدم يقتضي أنه لم يكن في الازل يرى نفسه حتى خلق آدم ، ثم ذلك الشوق كان قديما كان ينبغي أن يعمل ذلك في الازل وان كان محدثا فلا بد من سبب يقتضي حدوثه، مع أنه قد يقال الشوق أيضا صفة نقص ولهذا لم يثبت ذلك في حق الله تعالى وقد روي «طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم أشوق» وهو حديث ضعيف

وقوله : خلق من نوره آدم وجعله كالمرآة وأنا ذلك النور وآدم هو المرآة - يقتضي أن يكون آدم مخلوقا من المسيح والمسيح خلق من مريم ومريم من ذرية آدم فكيف يكون آدم مخلوقا من ذريته ؟ وان قيل المسيح هو نور الله فهذا القول وان كان من جنس قول النصارى فهو شر من قول النصارى، فان النصارى يقولون: ان المسيح هو الناسوت واللاهوت الذي هو الكلمة هي جوهر الابن ، وهم يقولون : الاتحاد اتحاد اللاهوت والناسوت متجدد حين خلق بدن المسيح ، لا يقولون أن آدم خلق من المسيح اذ المسيح عندهم اسم اللاهوت والناسوت

جميعا وذلك يمتنع أن يخلق منه آدم ، وأيضا فهم لا يقولون ان آدم خلق من لاهوت المسيح

وأيضا فقول القائل ان آدم خلق من نور الله الذي هو المسيح ان أراد به نوره الذي هو صفة لله فذاك ليس هو المسيح الذي هو قائم بنفسه إذ يمتنع أن يكون القائم بنفسه صفة لغيره ، وان أراد بنوره ما هو نور منفصل عنه فمعلوم أن المسيح لم يكن شيئا موجوداً منفصلا قبل خلق آدم فامتنع على كل تقدير أن يكون آدم مخلوقا من نور الله الذي هو المسيح ، وأيضا فاذا كان آدم كالمرآة وهو ينظر الى ذاته المقدسة فيها لزم أن يكون الظاهر في آدم هو مثال ذاته لا أن آدم هو ذاته ولا مثال ذاته ولا كذاته ، وحينئذ فان كان المراد بذلك أن آدم يعرف الله تعالى فيرى مثال ذاته العلمي في آدم فالرب تعالى يعرف نفسه فكان المثال العلمي اذا أمكن رؤيته كانت رؤيته للعلم المطابق له القائم بذاته أولى من رؤيته للعلم القائم بآدم ، وان كان المراد أن آدم نفسه سأل الله فلا يكون آدم هو المرآة بل يكون هو كالمثال الذي في المرآة ،

وأيضا فتخصيص المسيح بكونه ذلك النور هو قول النصارى الذين يخصونه بأنه الله، وهؤلاء الاتحادية ضموا الى قول النصارى قولهم بعموم الاتحاد حيث جعلوا في غير المسيح من جنس ما تقوله النصارى في المسيح

وأما قول ابن الفارض:

وشاهد اذا استجليت ذاتك من ترى بغير مراء في المراة الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة

فهذا تمثيل فاسد وذلك أن الناظر في المرآة مثال نفسه فيرى نفسه

وكذا المرآة لا يرى نفسه بلا واسطة فقولهم بوجود باطل وبتقدير صحته ليس هذا مطابقا له وأيضا فهؤلاء يقولون بعموم الوحدة والاتحاد والحلول في كل شيء فتخصيصهم بعد هذا آدم أو المسيح يناقض قولهم بالعموم وانما يخص المسيح ونحوه من يقول بالاتحاد الخاص كالنصارى والغالية من الشيعة وجهال النساك ونحوهم، وأيضا فلو قدر أن الانسان يرى نفسه في المرآة فالمرآة خارجة عن نفسه فرأى نفسه أو مثال نفسه في غيره والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى فليس هناك مظهر مغاير للظاهر ولا مرآة مغايرة للرائي

وهم يقولون: ان الكون مظاهر الحق (فان قالوا) المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة، وان قالوا المظاهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء في شيء ولا تجلى شيء في شيء ولا ظهر شيء لشيء وكان قوله: * وشاهد اذا استجليت نفسك أن ترى *.. كلاما متناقضا لان هنا مخاطِبا ومخاطَبا ومرآة تستجلى فيها الذات فهذه ثلاثة أعيان فان كان الوجود واحداً بالعين بطل هذا الكلام وكل كلمة يقولونها تنقض أصلهم

فصل

وأما ما ذكره من قول ابن اسرائيل: الامر أمران أمر بواسطة وأمر بغير واسطة الى آخره فمضمونه أن الامر الذي بواسطة هو الامر الشرعي الديني والذي بلا واسطة هو الامر القدري الكوني وجعله أحد الامرين بواسطة والآخر بغير واسطة كلام باطل فان الامر الديني يكون بواسطة وبغير واسطة فان الله كلم موسى وأمره بلا واسطة وكذلك

كلم محمدا صلى الله عليه وسلم وأمره ليلة المعراج وكذلك كلم آدم وأمره بلا واسطة وهي أوامر دينية شرعية وأما الامر الكوني فقول القائل: انه لا بواسطة خطأ بل الله تعالى خلق الاشياء بعضها ببعض وأمر التكوين ليس هو خطابا يسمعه المكون المخلوق فان هذا ممتنع ولهذا قيل ان كان هذا خطابا له بعد وجوده لم يكن قد كون (به) بل كان قد كون قبل الخطاب وان كان خطابا له قبل وجوده فخطاب المعدوم ممتنع. وقد قيل في جواب هذا انه خطاب لمعلوم لحضوره في العلم وان كان معدوما في العين

وأما ما ذكره الفقير فهو سؤال وارد بلا ريب. وأما ما ذكره عن شيخه من أن آدم كان توحيده ظاهراً وباطنا فكان قوله «لا تقرب» ظاهراً وكان أمره «بكل» باطنا (فيقال) ان أريد بكونه قال كل باطنا أنه أمره بذلك في الباطن أمر تشريع أو دين فهذا كذب وكفر. وان كان أراد أنه خلق ذلك وقدره وكونه فهذا قدر مشترك بين آدم وبين سائر المخلوقات فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر. وأكل آدم من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخلة تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الامر كما دخل آدم. وقول القائل: انه قال لآدم في الباطن كل مثل قوله انه قال للكافر اكفر وللفاسق افسق، والله لا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان؛ وان كان ذلك واقعا بمشيئته وقدرته وخلقه وأمره الكوني - فالامر الكوني ليس هو أمراً للعبد أن يفعل ذلك الامر بل هو أمر تكوين

لذلك الفعل في العبد أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال فهو سبحانه هو الذي خلق الانسان هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على الاحوال التي خلقهم عليها وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم : كونوا كذلك فيكونون كذلك. كما لو قال للجماد كن فيكون فأمر التكوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان وهو لا يفتقر الى علم المأمور ولا ارادته ولا قدرته لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره، وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره به فى الظاهر، بل أمره بالطاعة باطنا وظاهراً، ونهاه عن المعصية باطنا وظاهراً، وقدر ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطنا وظاهراً، وخلق العبد وجميع أعماله باطنا وظاهراً، وكون ذلك بقوله «كن باطنا وظاهراً»

وليس فى القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتج به ، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض ، فان القدر ان كان حجة وعذراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه اذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمته أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه. وهذا أمر ممتنع في الطبيعة لا يمكن أحداً أن يفعله فهو ممتنع طبعا محرم شرعا.

ولو كان القدر حجة وعذراً لم يكن ابليس ملوما معاقبا ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار جائزاً ولا إقامة الحدود جائزاً لا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجمه ولا قتل

القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه. ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلا في فطر الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من الامم. ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين يطردون قولهم فانه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لا في دنياه ولا آخرته ولا يمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة ان لم يكن أحدهما ملتزما مع الآخر نوعا من الشرع، فالشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك، ثم المنزلة تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم. وتارة لا تغير ولا تبدل، وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل

اما القدر فانه لا يحتج به أحد إلا عند اتباع هواه فاذا فعل فعلا بمجرد هواه وذوقه ووجده من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند لى القدر كما قال المشركون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم الا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فبين أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وانما يتبعون الظن، والقوم لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر فانه لو خرب أحد الكعبة أو شتم ابراهيم الخليل أو طعن في دينهم لعادوه وآذوه كيف وقد عادوا النبي صلى الله عليه وسلم على ما جاء به من الدين وما فعله هو أيضا من المقدور؟ فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فان كان كل ما يحدث في الوجود فهو

مقدر، فالمحق والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر ان كان الاحتجاج به صحيحا ولكن كانوا يعتمدون على ما يعتقدونه من جنس دينهم وهم في ذلك يتبعون الظن ليس لهم به علم بل هم يخرصون

وموسى لما قال لآدم لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسى: لم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين عاما ؟ فحج آدم موسى - لم يكن آدم عليه السلام محتجا على فعل ما نهي عنه بالقدر ولا كان موسى ممن يحتج عليه بذلك فيقبله بل آحاد المؤمنين لا يفعل مثل هذا فكيف آدم وموسى ؟ وآدم قد تاب مما فعل واجتباه ربه وهدى، وموسى أعلم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه فكيف بنبي من الانبياء؟ وآدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتج الى التوبة ولم يجر ما جرى من خروجه من الجنة وغير ذلك، ولو كان القدر حجة لكان لابليس وغيره وكذلك موسى يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنو اسرائيل بالصعقة وغيرها كيف وقد قال موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقال (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وهذا باب واسع وانما كان لوم موسى لآدم من أجل المصيبة التي لحقتهم بآدم من أكل الشجرة ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ واللوم لاجل المصيبة التي لحقت الانسان نوع واللوم لاجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر، فان الاب لو فعل فعلا افتقر به حتى تضرر بنوه وأخذوا يلومونه لاجل ما لحقهم من الفقر لم يكن هذا كلومه لاجل كونه أذنب والعبد مأمور أن يصبر على المقدور، ويطيع المأمور، واذا أذنب استغفر كما قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال طائفة من السلف

هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم فمن احتج بالقدر على ترك المأمور، وجزع من حصول ما يكرهه من المقدور، فقد عكس الايمان والدين، وصار من حزب الملحدين المنافقين، وهذا حال المحتجين بالقدر فان أحدهم اذا أصابته مصيبة عظم جزعه وقل صبره فلا ينظر الى القدر ولا يسلم له، واذا أذنب ذنبا أخذ يحتج بالقدر، فلا يفعل المأمور، ولا يترك المحظور، ولا يصبر على المقدور، ويدعي مع هذا أنه من كبار أولياء الله المتقين، وأئمة المحققين الموجودين، وانما هو من أعداء الله الملحدين، وحزب الشيطان اللعين. وهذا الطريق انما يسلكه أبعد الناس عن الخير والدين والايمان، تجد أحدهم أخير الناس اذا قدر، وأعظمهم ظلما وعدوانا، وأذل الناس اذا قهر، وأعظم جزعا ووهنا. كما جربه الناس من الاحزاب البعيدين عن الايمان بالكتاب والمقابلة من أصناف الناس. والمؤمن ان قدر عدل وأحسن، وان قهر وغلب صبر واحتسب، كما قال كعب بن زهير في قصيدته التي أنشدها للنبي صلى الله عليه وسلم التي أولها بانت سعاد الخ في صفة المؤمنين:

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم يوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

وسئل بعض العرب عن شيء من أمور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: رأيته يَغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، وقد قال تعالى (قالوا أإنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا، إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) وقال تعالى (إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) فذكر الصبر

والتقوى في هذه المواضع الاربعة فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور؛ والتقوى يدخل فيها فعل المأمور . فمن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير، بخلاف من عكس فلا يتقي الله بل يترك طاعته متبعاً لهواه ويحتج بالقدر، ولا يصبر اذا ابتلى ولا ينظر حينئذ الى القدر ، فان هـذا حال الاشقياء كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به: يقول أنت اذا أطعت جعلت نفسك خالقا لطاعتك فتنسى نعمة الله عليك كي(١) أنه جعلك مطيعا له واذا عصيت لم تعترف بأنك فعلت الذنب بل تجعل نفسك بمنزلة المجبور عليه بخلاف مراده أو المحرك الذي لا ارادة له ولا قدرة ولا علم وكلاهما خطأ

وقد ذكر أبو طالب المكي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال : اذا عمل العبد حسنة فقال : أي ربي أنا فعلت هذه الحسنة ، قال له ربه أنا يسرتك لها وأنا أعنتك عليها. فان قال أي ربي أنت أعنتني عليها ويسرتني لها، قال له ربه : أنت عملتها وأجرها لك . واذا فعل سيئة فقال أي ربي أنت قدرت علي هذه السيئة قال له ربه : أنت اكتسبتها وعليك وزرها فان قال أي ربي اني أذنبت هذا الذنب وأنا أتوب منه، قال له ربه : أنا قدرته عليك وأنا أغفره لك. وهذا باب مبسوط في غير هذا الموضع

وقد كثر في كثير من المنتسبين الى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط من غير شهود الامر والنهي والاستناد اليه في ترك المأمور وفعل المحظور، وهذا أعظم الضلال. ومن طرد هذا القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود والنصارى والمشركين لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطرد قوله

«١» كذا في الاصل ولعل صوابه « في ». وحذفه اولى

وقول هذا القائل هو من هذا الباب فقوله: آدم كان أمره بكل باطنا فأكل، وابليس كان توحيده ظاهراً فأمر بالسجود لآدم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه وقال (اخرج منها) الآية فان هذا مع ما فيه من الالحاد كذب على آدم وابليس فآدم اعترف بأنه هو الفاعل للخطيئة وانه هو الظالم لنفسه وتاب من ذلك ولم يقل أن الله ظلمني ولا ان الله أمرني في الباطن بالاكل، قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وابليس أصر واحتج بالقدر فقال (ربي بما أغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين)

وأما قوله: رآه غيراً فلم يسجد فهذا شر من الاحتجاج بالقدر فان هذا قول أهل الوحدة الملحدين وهو كذب على ابليس فان ابليس لم يمتنع من السجود لكونه غيراً بل قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيراً بل المغايرة بين الملائكة وآدم ثابتة معروفة والله تعالى (علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وكانت الملائكة وآدم معترفين بأن الله مباين لهم وهم مغايرون له ولهذا قالوا: دعوه دعا العبد ربه فآدم يقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) والملائكة تقول: لا علم لنا الا ما علمتنا) وتقول (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) الآية وقد قال تعالى (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (أغير الله أتخذ وليا فاطرَ السموات والارض وهو يُطعم ولا يُطعَم) وقال أفغير الله أبتغي

حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما فلم يكونوا يستحقون الانكار، فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه وليا وحكما، وانه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) وقال (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا) وأمثال ذلك

وأما قول القائل ان قوله (ليس لك من الامر شيء) عين الاثبات للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) فهذا بناه على قول أهل الوحدة والاتحاد، وجعل معنى قوله (ليس لك من الامر شيء) اي فعلك هو فعل الله لعدم المغايرة وهذا ضلال عظيم من وجوه

﴿ احدها ﴾ ان قوله (ليس لك من الامر شيء) نزل في سياق قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين * ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على قوم من الكفار او يلعنهم في القنوت فلما انزل الله هذه الآية ترك فعلم ان معناها افراد الرب تعالى بالامر وانه ليس لغيره امر بل ان شاء الله تعالى قطع طرفا من الكفار وان شاء كبتهم فانقلبوا بالخسارة وان شاء تاب عليهم وان شاء عذبهم. وهذا كما قال في الآية الاخرى (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ونحو ذلك قوله تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل ان الامر كله لله)

﴿الوجه الثاني﴾ ان قوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به ان فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظنه طائفة من الغالطين فان ذلك لو كان صحيحاً لكان ينبغي ان يقال لكل أحد حتى يقال للماشي ما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى ، ويقال للراكب وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب ، ويقال للمتكلم ما تكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم . ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك وطرد ذلك يستلزم ان يقال للكافر ما كفرت اذ كفرت ولكن الله كفر . ويقال للكاذب ما كذبت اذ كذبت ولكن الله كذب . ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين. ولكن معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته ان يوصل الرمي الى جميعهم فانه اذا رماهم بالتراب وقال شاهت الوجوه ولم يكن في قدرته ان يوصل ذلك اليهم كلهم فالله تعالى أوصل ذلك الرمي اليهم بقدرته، يقول وما أوصلت اذ حذفت ولكن الله أوصل ، فالرمي الذي أثبته له ليس هو الرمي الذي نفاه عنه وهو الايصال والتبليغ وأثبت له الحذف والالقاء وكذلك اذا رمى سهما فأوصلها بقدرته

﴿الوجه الثالث﴾ إنه لو فرض أن المراد بهذه الآية أن الله خالق أفعال العباد فهذا المعنى حق وقد قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) فالله هو الذي جعل المسلم مسلما

وقال تعالى (إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) فالله هو الذي خلقه هلوعا لكن ليس في هذا أن الله هو العبد، ولا أن وجود الخالق هو وجود المخلوق، ولا أن الله حال فى العبد. فالقول بأن الله خالق أفعال العباد حق والقول بأن الخالق حال في

المخلوق أو وجوده وجود المخلوق باطل وهؤلاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية الى القول بالحلول والاتحاد وهذا عين الضلال والالحاد

(الوجه الرابع) إن قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لم يرد به انك أنت الله وانما أراد انك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه فمن بايعك فقد بايع الله كما أن من أطاعك فقد أطاع الله ولم يرد بذلك أن الرسول هو الله. ولكن الرسول أمر بما أمر الله به فمن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني» ومعلوم أن أميره ليس هو أياه ومن ظن في قوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) أن المراد به أن فعلك هو فعل الله أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره والحاده قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد به أن خالق لفعلك لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ومن بايع قادة الاحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضا فيكون الله قد بايع الله إذ الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك اذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فانه عام عندهم في هذا وهذا فيكون الله قد بايع الله. وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية حتى إن أحدهم اذا أمر بقتال العدو يقول أقاتل الله ؟ ما أقدر أن أقاتل الله ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم وبينا فساده لهم وضلالهم غير مرة

وأما الحلول الخاص فليس هو قول هؤلاء بل هو قول النصارى

ومن وافقهم من الغالية(١) وهو باطل أيضا فان الله سبحانه قال له (ليس لك من الامر شيء) وقال (وانه لما قام عبد الله يدعوه) وقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وقال (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) وقال (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما)

فقوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) يبين قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ولهذا قال (يد الله فوق أيديهم) ومعلوم ان يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت مع أيديهم كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة، فعلم ان يد الله التي فوق أيديهم ليست هي يد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول عبد الله ورسوله فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم، الا ترى أن كل من وكل شخصا بعقد مع الوكيل كان ذلك عقداً مع الموكل ومن وكل نائبا له في معاهدة قوم فعاهدهم عن مستنيبه كانوا معاهدين لمستنيبه ومن وكل رجلا في نكاح او تزوج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد؟ وقد قال تعالى (ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية ولهذا قال في تمام الآية (ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيما)

فتبين أن قول ذلك الفقير هو القول الصحيح وان الله اذا كان قد قال لنبيه (ليس لك من الامر شيء) فايش نكون نحن؟ وقد ثبت عنه

«١» هم فرق الباطنية وآخرهم البهائية

صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيح أنه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

وأما قول القائل

ما غبت عن القلب ولا عن عيني   ما بينكم وبيننا من بين

فهذا القول مبني على قول هؤلاء وهو باطل متناقض فان مقتضاه انه يرى الله بعينه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « واعلموا أن أحدا منكم لن يري ربه حتى يموت » وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا الا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أن جماهير الائمة على انه لم يره بعينه في الدنيا وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة وائمة المسلمين

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الامام احمد وامثالهما انهم قالوا رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم إما اطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة انه رآه بعينه وقوله « أتاني البارحة ربي في احسن صورة » الحديث الذي رواه الترمذي وغيره انما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسراً وكذلك ام الطفيل وحديث ابن عباس وغيرهما مما فيه رؤية ربه انما كان بالمدينة كما جاء مفسرا في الاحاديث والمعراج كان بمكة كما قال (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع. وقد ثبت بنص القرآن انموسى قيل له (لن تراني) وأن رؤية الله أعظم من انزال كتاب من السماء فمن قال ان أحدا من الناس يراه

فقد زعم انه اعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى ان الله أنزل عليه كتابا من السماء

المسلمون في رؤية الله على ثلاثة اقوال فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالابصار عيانا وأن احدا لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب في المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها . ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن انه رأى ذلك بعينه وهو غالط ، ومشاهدات القلوب تحصل بحسب ايمان العبد ومعرفته في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضع (والقول الثاني) قول نفاة الجهمية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة (والثالث) قول من يزعم انه يرى في الدنيا والآخرة

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وانه يرى في الدنيا والآخرة وهذا قول ابن عربى صاحب الفصوص وأمثاله لان الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم

ثم من أثبت الذات قال يرى متجليا فيها ومن فرق بين المطلق والمعين قال لا يرى الا مقيدا بصورة وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين انكار رؤية الله واثبات رؤية المخلوقات ويجعلون المخلوق هو الخالق أو يجعلون الخالق حالا فى المخلوق والا فتفريقهم بين الأعيان الثابتة في الخارج وبين وجودها هو قول من يقول بأن المعدوم شيء فى الخارج وهو قول باطل وقد ضموا اليه انهم جعلوا نفس وجود المخلوق هو وجود الخالق وأما التفريق بين المطلق والمعين مع أن المطلق لا يكون هو فى

الخارج مطلقا يقتضي أن يكون الرب معدوما وهذا هو جحود الرب وتعطيله، وان جعلوه ثابتا فى الخارج جعلوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق أو عرضا قائما بالمخلوق. وكل هذا مما يعلم فساده بالضرورة، وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع

وأما تناقضه فقوله

ما غبت عن القلب ولا عن عيني   ما بينكم وبيننا من بين

يقتضي المغايرة وأن المخاطب غير المخاطِب وأن المخاطب له عين قلب لا يغيب عنها المخاطب بل يشهده القلب والعين والشاهد غير المشهود

وقوله * ما بينكم وبيننا من بين * فيه اثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وهذا اثبات لاثنين ، وان قالوا مظاهر ومجالي قيل فان كانت المظاهر والمجالى غير الظاهر المتجلي فقد ثبتت التثنية وبطل التعدد ، وان كان هو اياها فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما تناقض . وقول القائل

فارق ظلم الطبع وكن متحدا   بالله والا كل دعواك محال

ان أراد الاتحاد المطلق فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع وهو المخاطب بقوله « وكن متحدا بالله »وهو المخاطب بقوله« كل دعواك محال » وهو القائل هذا القول ، وفى ذلك من التناقض ما لا يخفى .

وان أراد الاتحاد المقيد فهو ممتنع لان الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد ،وان كانا استحالا الى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك مما يشبه النصارى بقولهم في الاتحاد لزم من ذلك أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره فانه لابد أن يستحيل

وهذا ممتنع على الله ينزه الله عن ذلك ،لان الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال فعدم شيء منها نقص تعالى الله عنه،ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي أن العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل وصفات الرب تعالى اللازمة القدم والغنى والعزة وهو سبحانه قديم غني عزيز بنفسه يستحيل عليه نقيض ذلك فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضي أن يكون الرب متصفا بنقيض صفاته من الحدوث والفقر والذل، والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع وبسط هذا يطول

ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال التوحيد افراد الحدوث عن القدم. فبين أنه لابد من تمييز المحدث عن القديم

ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس فى مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا *وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وان كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي وهو أن يحب العبد مايحبه الله . ويبغض ما يبغضه الله . ويرضى بما يرضي الله . ويغضب لما يغضب الله . ويأمر بما يأمر الله. وينهى عما ينهى الله عنه . ويوالي من يواليه الله. ويعادي من يعاديه الله . ويحب لله .ويبغض لله. ويعطي لله . ويمنع لله . بحيث يكون موافقا لربه تعالى فهذا المعنى حق وهو حقيقة الايمان وكماله وفي الحديث

الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ،ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه . وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه »

وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة.(منها) انه قال « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة» فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ، ثم قال «وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب لي بالنوافل حتى أحبه» فاثبت عبدا يتقرب اليه بالفرائض ثم بالنوافل وانه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فاذا أحبه كان العبد يسمع به ويبصر به ويبطش به ويمشي به، وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه لا يخصون ذلك بالاعضاء الاربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالاطلاق والتعميم فاين هذا من هذا ؟ وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح ان الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ثم يأتيهم في الصورة

التي رأوه فيها في أول مرة فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا » فيجعلون هذا حجه لقولهم انه يرى فى الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة وهذا الحديث حجة عليهم في هذا ـ أيضا فانه لا فرق عندهم بين الدنيا والآخرة وهو عندهم في الآخرة المنكرون(١) الذين قالوا نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا وهؤلاء الملاحدة يقولون ان العارف يعرفه في كل صورة فان الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم. وهذا جهل منهم فان الذين انكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلي لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الانبياء والمؤمنون وكان انكارهم مما حمدهم سبحانه وتعالى عليه فانه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذى عبدوه فلهذا قال في الحديث وهو يسألهم ويثبتهم « وقد نادى المنادي ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون »

ثم يقال لهؤلاء الملاحدة اذا كان عندهم هو الظاهر في كل صورة فهو المنكِر وهو المنكَر كما قال بعض هؤلاء لآخر من قال لك: ان في الكون سوي الله فقد كذب، وقال له الآخر فمن هو الذى كذب؟ وذكر ابن عربي انه دخل على مريد له فى الخلوة وقد جاءه الغائط فقال ما أبصر

---

(١) ههنا تحريف ظاهر فان قوله : وهو عندهم في الآخرة المنكرون ـ لامعنى له فقد سقط من الناسخ كلام لا سبيل الى معرفته والمعروف عن ابن عربي في فتوحاته يدل عليه ومنه ان الرب تعالى يتجلى لكل احد بحسب معرفته فالقاصر المقيد برأي أو مذهب معين لا يعرفه الا اذا تجلى له في صورة اعتقاده واما العارف المطلق من حجر القيود فانه يعرفه في كل شيء ويراه في التجلي بكل صورة، لانه في اعتقاده كل شيء (تعالى الله عما يقولون). قاله محمد رشيد

غيره أبول عليه، فقال له شيخه فالذى يخرج من بطنك من أين هو؟ قال فرجت عني. ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي على كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمسانى هذا ايضامن ذاته؟ فقال (التلمساني) هل ثم شيء خارج عنها؟ وكان التلمسانى قد أضل شيخازاهدا عابدا ببيت المقدس يقال له أبو يعقوب المغربي المبتلى حتى كان يقول: الوجود واحد، وهو الله، ولا ارى الواحد، ولا ارى الله. ويقول نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لاثنوية فيه. ويجعل هذا الكلام له تسبيحا يتلوه كما يتلو التسبيح

واما قول الشاعر

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى   وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقاحين يشهده الهوى   بان صلاة العارفين من الكفر

فهذا الكلام مع انه كفر هو كلام جاهل لا يتصور مايقول فان الفناء والغيب هو أن يغيب بالمذكور عن الذكر وبالمعروف عن المعرفة وبالمعبود عن العبادة حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، وهذا مقام الفناء الذى يعرض لكثير من السالكين لعجزهم عن كمال الشهود المطابق للحقيقة، بخلاف الفناء الشرعي فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ماسواه وبحبه عن حب ماسواه. وبخشيته عن خشية ماسواه. وبطاعته عن طاعة ماسواه. فان هذا تحقيق التوحيد والايمان

(وأما النوع الثالث) من الفناء وهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى ان وجود الخالق هو وجود المخلوق - فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة اهل الوحدة. والمقصود هنا أن قوله يغيب عن المذكور كلام

جاهل فان هـذا لايحمد أصلا بل المحمود أن يغيب بالمذكور عن الذكر لايغيب عن المذكور في سطوات الذكر اللهم الاأن يريد انه غاب عن المذكور فشهد المخلوق وشهد انه الخالق ولم يشهد الوجود الاواحدا ونحو ذلك من المشاهد الفاسدة فهـذا شهود أهل الالحاد لاشهود الموحـدين ولعمرى ان من شهد هذا الشهود الالحادي فانه يرى صلاة العارفين من الكفر. وأما قول القائل

السـكون يناديك ماتسمعني   من الّف أشتاتي ومن فرقني
انظر لتراني منظراً معتبراً   مافيّ سوى وجود من اوجدني

فهو من أقوال هؤلاء المـلاحدة وأقوالهم كفر متناقض باطل في العقل والدين فانه اذا لم يكن فيه الا وجود من أوجده كان ذلك الوجود هو الكون المنادي وهو المخاطب المنادى وهو الاشتات المؤلفة المفرقة وهو المخاطب الذى قيل له: انظر. وحينئذ يكون الوجود الواجب القـديم الازلي قد أوجد نفسه وفرقها وألفها. فهذا جمع بين النقيضين

فالواجب هو الذي لاتقبل ذاته العدم فممتنع أن يكون الشيء الواحد قابلا للعدم غير قابل للعدم، والقديم هو الذي لا أول لوجوده والمحدَث هو الذي له أول، فيمتنع كون الشيء الواحد قديما محدثا ولولا ان قد علم مرادهم بهذا القول لامكن ان يراد بذلك: مافي سوي الوجود الذي خلقه من أوجدني، وتكون إضافة الوجود الى الله اضافة الملك لكن قد علم انه لم يرد هذا ولان هذه العبارة لاتستعمل في هذا المعنى وانما يراد بوجود الله وجود ذاته لاوجود مخلوقاته. وهكذا قول القائل:

وله ذات وجود الـ   ـكون الحق شهود

أنه ليس لموجو د سوى الحق وجود

مراده أن وجود الكون هو نفس وجود الحق وهذا هو قول أهل الوحدة والا فلو أراد أن وجود كل موجود من المخلوقات هو من الحق تعالى فليس لشيء وجود من نفسه وانما وجوده من ربه والاشياء باعتبار أنفسها لا تستحق سوى العدم وانما حصل لها الوجود من خالقها وبارئها فهي دائمة الافتقار اليه لا تستغني عنه لحظة لا في الدنيا ولا في الآخرة — لكان قد أراد معنى صحيحا وهو الذي عليه أهل العقل والدين من الاولين والآخرين . وهؤلاء القائلون بالوحدة قولهم متناقض ولهذا يقولون الشيء ونقيضه والا فقوله : منه والى علاه يبدي ويعيد . يناقض الوحدة فمن هو البادي والعائد منه واليه اذا لم يكن الا واحد . وقوله

وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل

يناقض الوحدة لان الظل مغاير لصاحب الظل فاذا شبه المخلوق بالظل لزم اثبات اثنين كما اذا شبهه بالشعاع فان شعاع الشمس ليس هو نفس قرص الشمس وكذلك اذا شبهه بضوء السراج وغيره والنصارى تشبه الحلول والاتحاد بهذا

(وقلت) لمن حضرني منهم وتكلم بشيء من هذا : فاذا كنتم تشبهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار والخالق بالنار والشمس فلا فرق في هذا بين المسيح وغيره فان كل ما سوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء فما الفرق بين المسيح وبين ابراهيم وموسى ؟ بل ما الفرق بينه وبين سائر المخلوقات على هذا ؟ وجعلت أردد عليه هذا الكلام وكان في المسجد جماعة حتى فهموه فهما جيدا وتبين له وللحاضرين أن قولهم باطل لا حقيقة

له وان ما أثبتوه للمسيح لما ممتنع في حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره. وعلى التقديرين فتخصيص المسيح بذلك باطل (وذكرت له) أنه مامن آية جاء بها المسيح الا وقد جاء موسى باعظم منها فان المسيح صلى الله عليه وسلم وان كان جاء باحياء الموتى فالموتى الذين أحياهم الله على يد موسى اكثر كالذين قالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) ثم أحياهم الله بعد موتهم، وقد جاء باحياء الموتى غير واحد من الانبياء والنصارى يصدقون بذلك. وأما جعل العصا حية فهذا أعظم من احياء الميت فان الميت كانت فيه حياة فردت الحياة الى محل كانت فيه الحياة. وأما جعل خشبة يابسة حيوانا تبتلع العصي والحبال فهذا أبلغ في القدر واقدر (١) فان الله يحيي الموتى ولا يجعل الخشب حياة

وأما انزال المائدة من السماء فقد كان ينزل على عسكر موسى كل يوم من المن والسلوى وينبع لهم من الحجر من الماء ماهو أعظم من ذلك فان الحلو أو اللحم دائما هو أجل في نوعه وأعظم في قدره مما كان على المائدة من الزيتون والسمك وغيرهما، وذكرت له نحوا من ذلك مما تبين ان تخصيص المسيح بالاتحاد ودعوى الالهية ليس له وجه، وان سائر ما يذكر فيه اما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من المخلوقات واما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من الانبياء والرسل مع ان بعض الرسل كابراهيم وموسى قد يكون أكمل في ذلك منه، وأما خلقه من امرأة

---

(١) كذا في الاصل وفيه تحريف ظاهر من جهل النساخ والمعنى ظاهر وهو أن آية العصا لموسى أعظم من احياء الميت لعيسى عليهما السلام وأدل على قدرة الله تعالى بما ذكر من الفرق بين البشر والخشب

بلا رجل فخلق حواء من رجل بلا امرأة أعجب من ذلك فانه خلق من بطن امرأة وهذا معتاد بخلاف الخلق من ضلع رجل فان هذا ليس بمعتاد فما من أمر يذكر في المسيح صلى الله عليه وسلم الا وقد شركه فيه أو فيما هو أعظم منه غيره من بني آدم

فعلم قطعا ان تخصيص المسيح باطل وان مايدعى له ان كان ممكنا فلا اختصاص له به وان كان ممتنعاً فلا وجود له فيه ولا في غيره ولهذا قال هؤلاء الاتحادية ان النصاري إنما كفروا بالتخصيص وهذا أيضا باطل فان الاتحاد عموم وخصوص والمقصود هنا ان تشبيه الاتحادية أحدهم بالظل المستحيل يناقض قولهم بالوحدة . وكذلك قول الآخر

أحن اليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه
ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري وما بعده الا لافراط قربه

هو مع ما قصده به من الكفر والاتحاد كلام متناقض فان حنين الشيء الى ذاته متناقض ولهذا قال وهل يرى أخو وجد يحن لقلبه؟ وقوله وما بعده الا لافراط قربه ، متناقض فانه لا قرب ولا بعد عند أهل الوحدة فانها تقتضي ان يقرب أحدهما من الآخر والواحد لا يقرب من ذاته و يبعد من ذاته

وأما قول القائل : التوحيد لا لسان له والالسنة كلها لسانه — فهذا أيضا من قول أهل الوحدة وهو مع كفره قول متناقض فانه قد يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد وأن أقوال المشركين الذين قالوا (لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) والذين قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والذين قالوا

(وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) والذين قالوا (حرقوه وانصروا آلهتكم) ونحو هؤلاء لسان هذا هو لسان التوحيد

وأما تناقض هذا القول على أصلهم فان الوجود ان كان واحداً كان إثبات التعدد تناقضاً فاذا قال القائل : الوجود واحد، وقال الآخر: ليس بواحد بل يتعدد ، كان هذان قولين متناقضين فيمتنع أن يكون أحدهما هو الآخر. وإذا قال قائل الالسنة كلها لسانه فقد صرح بالتعدد في قوله : الالسنة كلها ، وذلك يقتضي أن لا يكون هذا اللسان هو هذا اللسان فثبت التعدد وبطلت الوحدة. وكل كلام لهؤلاء ولغيرهم فانه ينقض قولهم فانهم مضطرون الى اثبات التعدد

فان قالوا :الوجود واحد بمعنى أن الموجودات اشتركت في مسمى الوجود فهذا صحيح لكن الموجودات المشتركات في مسمى الواحد لا يكون وجود هذا (منها) عين وجود هذا بل هذا اشتراك في الاسم العام الكلي كالاشتراك في الاسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ، ويقسمها المنطقيون الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام ، فالاشتراك في هذه الاسماء هو مستلزم لتباين الاعيان وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر وهذا مما به يعلم أن وجود الحق مباين للمخلوقات أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الموجود فاذا كان وجود الفلك مباينا مخالفا لوجود الذرة والبعوضة فوجود الحق تعالى أعظم مباينة لوجود كل مخلوق من مباينة وجود ذلك المخلوق لوجود مخلوق آخر .

وهذا وغيره مما يبين بطلان قول ذلك الشيخ حيث قال لا يعرف

التوحيد الا الواحد ولا تصح العبارة عن التوحيد وذلك لا يعبر عنه الا بغير ومن أثبت غيراً فلا توحيد له — فان هذا الكلام مع كفره متناقض فان قوله: لا يعرف التوحيد الا واحد، يقتضي أن هناك واحدا يعرفه وان غيره لا يعرفه، هذا تفريق بين من يعرفه ومن لا يعرفه، واثبات اثنين أحدهما يعرفه والآخر لا يعرفه اثبات للمغايرة بين من يعرفه ومن لا يعرفه، فقوله بعد هذا من أثبت غيرا فلا توحيد له، يناقض هذا. وقوله إنه لا تصح العبارة عن التوحيد، كفر باجماع المسلمين، فان الله قد عبر عن توحيده ورسوله عبر عن توحيده والقرآن مملوء من ذكر التوحيد بل انما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد وقد قال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون) ولو لم يكن عنه عبارة لما نطق به أحد وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «أفضل الذكر لا إله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » وقال «من كان آخر كلامه لا آله الا الله دخل الجنة» لكن التوحيد الذي يشير اليه هؤلاء الملاحدة وهو وحدة الوجود أمر ممتنع في نفسه لا يتصور تحققه في الخارج فان الوحدة العينية الشخصية تمتنع في الشيئين المتعددين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن الاسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد كما أن اسم الجسم والانسان ونحوهما يتناول كل كل جسم وكل انسان وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الانسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذاك

وقوله : لا يصح التعبير عنه الا بغير يقال له أولا ـ التعبير عن التوحيد

يكون بالكلام والله يعبر عن التوحيد بكلام الله فكلام الله وعلمه وقدرته وغير ذلك من صفاته لا يطلق عليه عند السلف والائمة القول بانه الله ولا يطلق عليه بانه غير الله لان لفظ الغير قد يراد به ما يباين غيره وصفة الله لاتباينه، ويراد به مالم يكن اياه، وصفة الله ليست اياه ففي أحد الاصطلاحين يقال انه غير وفي الاصطلاح الآخر لا يقال انه غير فلهذا لا يطلق أحدهما الا مقرونا ببيان المراد لئلا يقول المبتدع اذا كانت صفة الله غيره فكل ما كان غير الله فهو مخلوق فيتوسل بذلك الى أن يجعل علم الله وقدرته وكلامه ليس هو صفة قائمة به بل مخلوقة فى غيره فان هذا فيه من تعطيل صفات الخالق وجحد كماله ما هو من أعظم الالحاد وهو قول الجهمية الذين كفرهم السلف والائمة تكفيرا مطلقا. وان كان الواحد المعين لا يكفر الا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها (١)

وأيضا فيقال لهؤلاء الملاحدة ان لم يكن في الوجود غير بوجه من الوجوه لزم أن يكون كلام الخلق وأكلهم وشربهم و نكاحهم وزناهم وكفرهم وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله ومعلوم أن من جعل هذا صفة لله كان من أعظم الناس كفراً وضلالا فمن قال انه عين وجود الله كان أكفر وأضل فان الصفات والاعراض لا تكون عين الموجود القائم بنفسه وائمة هؤلاء الملاحدة كابن عربي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

فيجعلون كلام المخلوقين من الكفر والكذب وغير ذلك كلاما لله

«١» يعني ان السلف كفروا الجهمية ببدعتهم في الالحاد بصفات الله وانكار كونها معاني وجودية قائمة بذاته وزعمهم أن كلامه أصوات خلقها في سمع موسى وغيره

وأما هذا اللحيد(١) فزاد على هؤلاء بجعل كلامهم وعبادتهم نفس وجوده لم يجعل ذلك كلاماً له بل يقال أن يكون (٢) هنا كلام له لئلا يثبت غيرا له

وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى وإن كل ما سواه من المخلوقات فانه غير الله تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ولو لم يكن هناك غير لما صح الانكار قال تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (قل أغير الله اتخذ وليا) وقال تعالى (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض) وقال تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا)

وكذلك قول القائل وجدت المحبة غير المقصود لانها لا تكون الا من غير لغير وغير ما ثم ، ووجدت التوحيد غير المقصود لان التوحيد ما يكون الا من عبد لرب ، لو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولا معبودا — هو كلام فيه من الكفر والالحاد والتناقض ما لا يخفي فان الكتاب والسنة واجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له كقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وقوله (إن الله يحب المتقين ، يحب المحسنين ، يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن

«١» كذا في الاصل فان لم يكن محرفا فهو تصغير لاحد : اسم فاعل من لحد الثلاثي وهو بمعنى ألحد ؟ «٢» كذا في الاصل فيحرر لفظا ومعنى

يلقى فى النار » وقد أجمع سلف الامة وائمتها على اثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل امام الحنفاء عليه السلام. وأول من أظهر ذلك فى الاسلام الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحي بواسط قال: أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيرا . ثم نزل فذبحه

وقوله : المحبة ما تكون الا من غير لغير، وغير ما ثم — كلام باطل من كل وجه فان قوله: لا يكون الا من غير ليس بصحيح فان الانسان يحب نفسه وليس غيراً لنفسه والله يحب نفسه ، وقوله ما ثم غير — باطل فان المخلوق غير الخالق والمؤمنون غير الله وهم يحبونه فالدعوى باطلة فكل واحدة من مقدمتي الحجة باطلة — قوله: لا تكون الا من غير لغير، وقوله : غير ما ثم — فان الغير موجود والمحبة تكون من المحبوب لنفسه يحب نفسه ولهذا كثير من الاتحادية يناقضه فى هذا ويقول كما قال ابن الفارض(١)

وكذلك قوله : التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ولو انصف الناس ما رأوا عابداً ولا معبوداً — كلا المقدمتين باطل فان التوحيد يكون من الله لنفسه فانه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو) والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه فقد وحد نفسه بنفسه كقوله (والهكم اله واحد) وقوله (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد * فاعلم انه لا اله الا الله) وامثال ذلك. وأما الثانية فقوله : ان الناس لو انصفوا ما رأوا عابدا ولا معبوداً — مع انه غاية فى الكفر والالحاد

(١) لم يذكر عن ابن الفارض هنا شيئا

كلام متناقض فانه اذا لم يكن عابد ولا معبود بل الكل واحد فمن هم الذين لا ينصفون؟ ان كانوا هم الله فيكون الله هو الذي لا ينصف وهو الذي يأكل ويشرب ويكفر كما يقول ذلك كثير منهم مثلما قال بعضهم لشيخه: الفقير إذا صح أكل بالله فقال له الآخر: الفقير اذا صح أكل الله. وقد صرح ابن عربي وغيره من شيوخهم بانه هو الذي يجوع ويعطش ويمرض ويبول وينكح وينكح وأنه موصوف بكل نقص وعيب لان ذلك هو الكمال عندهم كما قال في الفصوص: فالعلي لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى يستغرق به جميع الامور الوجودية النسب العدمية سواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا المسمى الله خاصة (وقال) لا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم؟ الا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق فهي كلها من أولها الى آخرها صفات للعبد كما أن صفات العبد من أولها الى صفات لله تعالى

هذا المتكلم بمثل هذا الكلام يتناقض فيه فانه يقال له فانت الكامل في نفسك الذي لا تري عابداً ولا معبوداً يعاملك بموجب مذهبك فيضرب ويوجع ويهان ويصفع ويظلم فمن فعل به ذلك واشتكى أو صاح منه وبكى قيل له ماثم غير ولا عابد ولا معبود فلم يفعل بك هذا غيرك بل الضارب هو المضروب والشاتم هو المشتوم والعابد هو المعبود فان قال تظالم من نفسه واشتكى من نفسه قيل له فقل أيضا عبد نفسه ، فاذا أثبت ظالما ومظلوما وهما واحد فأثبت عابداً ومعبوداً وهما واحد. ثم يقال له هذا الذي يضحك ويضرب هو نفس الذي يبكي ويصيح وهذا الذي شبع وروى هو نفس هذا الذي جاع وعطش فان اعترف بانه غيره أثبت

المغايرة واذا أثبت المغايرة بين هذا وهذا فبين العابد والمعبود اولى واحرى وان قال هو هو عومل معاملة جنس السوفسطائية فان هذا القول من أقبح السفسطة فيقال فاذا كان هو هو فنحن نضربك ونقتلك والشيء قتل نفسه وأهلك نفسه. والانسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) لكون نفسه أمرته بالسوء والنفس امارة بالسوء لكن جهة أمرها ليست جهة فعلها بل لا بد من نوع تعدد اما في الذات واما في الصفات وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار ان هذا الرجل الذي ظلم ذاك ليس هو اياه وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه. واذا كان هذا في المخلوقين فالخالق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ولولا أن اصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الانام، ومشايخ الاسلام، وأهل التوحيد والتحقيق، وأفضل أهل الطريق، حتى يفضلوهم على الانبياء والمرسلين، وأكابر مشايخ الدين، لم يكن بنا حاجة الى بيان فساد هذه الاحوال، وايضاح هذا الضلال، ولكن يعلم بذلك أن الضلال لا حد له، وانه اذا كررت (؟) العقول، لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق في نوع الانسان فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو من شرار الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالانبياء والاولياء، كتشبيه مسيلمة الكذاب، بسيد اولي الالباب، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والدين

والمقصود هنا رد هذه الاقوال، وبيان الهدي من الضلال، وأما توبة من قال هذا وموته على الاسلام، فهذا يرجع الى الملك العلام، فان الله يقبل التوبة عن

عباده ويعفو عن السيئات. ومن الممكنات انه قد تاب جل أصحاب هذه المقالات، والله تعالى غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، والذنب وان عظم والكفر وان غلظ وجسم فان التوبة تمحو ذلك كله، والله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب بل يغفر الشرك وغيره للتائبين كما قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وهذه الآية عامة مطلقة لانها للتائبين وأما قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فانها مقيدة خاصة لانها في حق غير التائبين لا يغفر لهم الشرك وما دون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى

والحكاية المذكورة عن الذي قال انه التقم العالم كله وأراد أن يقول أنا الحق واختها التي قيل فيها ان الالهية لا يدعها إلا أجهل خلق الله وأعرف خلق الله — هو من هذا الباب. والفقير الذي قال ما خلق الله أقل عقلا ممن ادعى انه آله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما هو الذي نطق بالصواب، وسدد الخطاب، ولكن هؤلاء الملاحدة يعظمون فرعون وامثاله ويدعون أنهم (١) من موسى وامثاله حتى انه حدثني بهاء الدين عبد السيد الذي كان قاضي اليهود وأسلم وحسن اسلامه وكان قد اجتمع بالشيرازي أحد شيوخ هؤلاء ودعاه الى هذا القول وزينه له فحدثني بذلك فبينت له ضلال هؤلاء وكفرهم وان قولهم من جنس قول فرعون فقال لي انه لما دعاه حسن الشيرازي قال له: قولكم هذا يشبه قول فرعون، فقال نعم ونحن على قول

(١) سقط من هنا كلمة اعرف أو أعلم أو أفضل

فرعون ، وكان عبد السيد لم يسلم بعد، فقال أنا لا أدع موسى وأذهب الى فرعون ، قال له ولم؟ قال لان موسى أغرق فرعون . فانقطع فاحتج عليه بالنصر القدري الذى نصر الله موسى لا بكونه كان رسولا صادقا. قلت لعبد السيد واقر لك انه على قول فرعون؟ قال نعم، قلت فمن سمع إقرار الخصم لا يحتاج الى بينة. أنا كنت أريد أن أبين لك أن قولهم هو قول فرعون فاذا كان قد أقر بهذا حصل المقصود

فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل وقد نبهنا على بعض ما به يعرف معناها وانه باطل والواجب إنكارها فان انكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من انكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون لا سيما واقوال هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) والنفاق إذا عظم كان صاحبه شرا من كفار أهل الكتاب، وكان في الدرك الاسفل من النار

وليس لهذه المقالات وجه سائغ ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحا فان ما يحمل عليها اذا لم يعرف مقصود صاحبها (١) وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصاري والرافضة ولهم في ذلك كتب مصنفة وأشعار مؤلفة وكلام يفسر بعضه بعضا وقد علم مقصودهم بالضرورة ، فلا ينازع في ذلك الا جاهل لا يلتفت اليه .

«١» المنار : في الكلام تحريف وسقط والمعنى المفهوم من القرينة انها ـ انما يصح ان تحمل على معنى صحيح تحتمله اللغة اذا لم يعرف مقصود صاحبها

ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها أو خيف عليه أن يحسن الظن بها وأن يضل، فان ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون انها سموم، وأعظم من ضرر السراق والخونة الذين لا يُعرفون انهم سراق وخونة، فان هؤلاء غاية ضررهم موت الانسان أو ذهاب ماله وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة، وأما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر والالحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين، في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمناً وليّاً لله فيصير منافقاً عدواً لله. ولقد ضربت لهم مرة مثلا بقوم أخذوا طائفة من الحاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم الى قبرص فقال لي بعض من كان قد انكشف له ضلالهم من اتباعهم: لو كانوا يذهبون بنا الى قبرص لكانوا يجعلوننا نصارى وهؤلاء يجعلوننا شرا من النصاري. والامر كما قاله هذا القائل

وقد رأيت وسمعت عمن ظن هؤلاء من اولياء الله وأن كلامهم كلام العارفين المحققين من هو من اهل الخير والدين مالا احصيهم فمنهم من دخل في الحادهم وفهمه وصار منهم، ومنهم من كان يؤمن بما لا يعلم، ويعظم مالا يفهم، ويصدق بالمجهولات، وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالين، وهم بمنزلة من يعظم اعداء الله ورسوله ولا يعلم انهم اعداء الله ورسوله، ويوالي المشركين، اهل الكتاب، ظاناً أنهم من اهل الايمان وأولي الالباب، وقد دخل بسبب هؤلاء الجهال المعظمين لهم من الشر على المسلمين، مالا يحصيه إلا رب العالمين،

وهذا الجواب، لم يتسع لاكثر من هذا الخطاب ، والله أعلم .

﴿ انتهت الرسالة ﴾

(المنار) ارسل الينا هذه الرسالة مع رسائل وفتاوى اخرى لشيخ الاسلام وناصر السنة الامام احمد تقي الدين بن تيميه قدس الله روحه اخونا في الله الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بهجة الاثرى البغدادي بارشاد استاذه صفوة أصدقائنا علامة العراق ورحلة اهل الآفاق السيد محمود شكري الالوسي رحمه الله تعالى ، وهي منقولة بقلم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد علي الفضيلي الزبيدي البغدادي عن نسخة كثيرة الغلط والتحريف والسقط قال انه اجتهد في تصحيحها ما استطاع. ونقول اننا اجتهدنا بعده فصححنا مما بقي من ذلك ما تيسر لنا ونبهنا على بعض ما يتيسر في الحواشي وعلى بعض آخر بعلامة الاستفهام (؟) بجانبه . ونحمد الله تعالى أن صار المراد منها كله مفهوما ، فنسأله تعالى ان يثيب الجميع — المؤلف والناسخ والمرسل والمرشد والناشر بفضله وكرمه ؟

مناظرة ابن تيمية العلنية

لدجاجلة البطائحية الرفاعية

(وهي من أعظم ما تصدى له وقام به شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه من إقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة، ومحاربة البدعة ، بعد ان اهمل ذلك الحكام والعلماء ففشت البدع وصار كثير منها يعد من شعائر الدين ، أو خصائص الصالحين ،فكان رحمه الله من أعظم المجددين) قال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،وأشهد أن لا إله الا الله رب السموات والارضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليما دائما الى يوم الدين

(أما بعد) فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الامارة والميدان بحضرة الخلق من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم في أمر البطائحية يوم السبت تاسع جمادى الاولى سنة خمس لتشوف الهمم الى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه ، فان من كان غائبا عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة ومن شهدها فقد رأى وسمع ما رأى وسمع ، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويره لانتشار هذه الواقعة العظيمة ، ولما حصل بها من عز الدين وظهور كلمته العليا وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة، والاحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقهم وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي وحاله وما وافقوا منه المسلمين وما خالفوهم ليتبين مادخلوا فيه من دين الاسلام وما خرجوا فيه عن دين الاسلام، فان ذلك يطول وصفه في هذا الموضع، وانما كتبت هنا ماحضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم، وذلك اني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذ الموضع وهو انهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك، ويوجد في بعضهم التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك مايوجد فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر، ومن الغلو والبدع في الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول والاستخفاف بشريعة الاسلام والكذب والتلبيس، واظهار المخارق(١) الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله مايوجد

وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة بينت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض مافيهم من حق وباطل، وأحوالهم التي يسمونها الاشارات، وتاب منهم جماعة، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة مايظهرونه من المخاريق مثل ملابسة النار والحيات وإظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك، وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة، وأراد غير مرة منهم قوم اظهار ذلك فلما رأوا ممارضتي

«١» أطلقوا اسم المخارق والمخاريق على الخوارق المفتعلة بالحيل والتلبيس والشعوذة وهي في أصل اللغة ضرب من لعب الصبيان

لهم رجعوا ودخلوا على أن استرهم فأجبتهم الى ذلك بشرط التوبة، حتى قال لي شيخ منهم في مجلس عام فيه جماعة كثيرة ببعض البساتين لما عارضتهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة ومن احترق كان مغلوبا ، فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك

وحكى ذلك الشيخ انه كان مرة عند بعض امراء التتر بالمشرق وكان له صنم يعبده قال : فقال لي: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الاكل فى الطعام بينا يرى فيه ، فأنكرت ذلك ، فقال لي ان كان يأكل انت تموت ؟ فقلت نعم ، قال فأقمت عنده الى نصف النهار ولم يظهر فى الطعام اثر ، فاستعظم ذلك التتري ذلك واقسم بايمان مغلظة انه كل يوم يري فيه اثر الاكل لكن اليوم بحضورك لم يظهر ذلك . فقلت لهذا الشيخ انا ابين لك سبب ذلك . ذلك التتري كافر مشرك ولصنمه شيطان يغويه بما يظهره من الاثر في الطعام وانت كان معك من نور الاسلام وتأييد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان عن ان يفعل ذلك بحضورك (١) وانت وامثالك بالنسبة الى اهل الاسلام الخالص كالتتري بالنسبة الى امثالك ، فالتتري وأمثاله سود ، وأهل الاسلام المحض بيض ، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض. فأعجب هذا المثل من كان حاضراً

وقلت لهم في مجلس آخر لما قالوا نريد أن نظهر هذه الاشارات ؟ قلت ان عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن من الاعراب والفلاحين أو الاتراك أو العامة أو جمهور المتفقهة والمتفقرة والمتصوفة لم يحسب لكم

---

(١) لعل ذلك الشيطان من شياطين الانس كان يأكل من الطعام في غفلة من ذلك الامير الخرافي ويوهمه ان الصنم أكله لمصلحة له في التلبيس عليه

ذلك فمن معه ذهب فليأت به الى سوق الصرف الى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص من المغشوش من الصفر، لا يذهب الى عند أهل الجهل بذلك. فقالوا لي لا نعمل هذا إلا أن تكون همتك معنا(١) فقلت همتي ليست معكم بل أنا معارض لكم مانع لكم لانكم تقصدون بذلك ابطال شريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فان كان لكم قدرة على اظهار ذلك فافعلوا. فانقلبوا صاغرين

فلما كان قبل هذه الواقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر مطوقين باغلال الحديد في أعناقهم(٢) وهو واتباعه معروفون بامور وكان يحضر عندي مرات فاخاطبه بالتي هي أحسن. فلما ذكر الناس مايظهرونه من الشعار المبتدع الذى يتميزون به عن المسلمين، ويتخذونه عبادة ودينا يوهمون به الناس إن هذا لله سر من أسرارهم، وإنه سيماء أهل الموهبة الالهية السالكين طريقهم، أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الامة ولا من المشايخ الذين يقتدي بهم(٣) ولا يجوز التعبد بذلك ولا التقرب به الى الله تعالى لان عبادة الله بما لم يشرعه ضلالة، ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء للحديث المروي في ذلك وهو أن النبي صلى الله تعالى

---

(١) أراد بهذا رشوة شيخ الاسلام بمشاركته في هذا الجاه الباطل على حد (ودوا لو تدهن فيدهنون)

(٢) رأيت مثل هؤلاء في الهند من متصوفة الشرك «٣» اي يقتدي بسيرتهم لموافقتها للكتاب والسنة كالجنيد

عليه وسلم رأى على رجل خاتما من حديد فقال « مالي أرى عليك حلية أهل النار » (١) وقد وصف الله تعالى أهل النار بأن في أعناقهم الاغلال، فالتشبه بأهل النار من المنكرات وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث الرؤيا قال في آخره « أحب القيد واكره الغل القيد ثبات في الدين » فاذا كان مكروها فى المنام فكيف فى اليقظة (٢)

فقلت له فى ذلك المجلس ماتقدم من الكلام أو نحواً منه مع زيادة وخوفته من عاقبة الاصرار على البدعة وان ذلك يوجب عقوبة فاعله ونحو ذلك من الكلام الذي نسيت أكثره لبعد عهدي به . وذلك أن الامور التي ليست مستحبة فى الشرع لا يجوز التعبد بها باتفاق المسلمين، ولا التقرب بها الى الله ولا اتخاذها طريقا الى الله وسببا لان يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه ، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك، أو أن اتخاذها يزداد به الرجل خيرا عند الله وقربة اليه ، ولا أن يجعل شعارا للتائبين المريدين وجه الله ، الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم

فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به وهو ان المباحات انما تكون مباحة إذا جعلت مباحات فاما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك دينا لم يشرعه الله، وجعل ماليس من الواجبات والمستحبات منها

«١» رواه النسائي وله تتمة

«٢» أصل الحديث في الصحيحين وهذا لفظ مسلم وبعده : فلا أدري هو في الحديث أم قاله ابن سيرين اه أي راويه عن أبي هريرة وفي رواية له اسناده الى أبي هريرة وليس في رواية البخاري له شيء من الشك المذكور

بمنزلة جعل ماليس من المحرمات منها ، فلا حرام الا ماحرمه الله ، ولا دين إلا ماشرعه الله ، ولهذا عظم ذم الله فى القرآن لمن شرع دينا لم يأذن الله به ، ولمن حرم مالم يأذن الله بتحريمه(١) فاذا كان هذا فى المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات ؟ ولهذا كانت هذه الامور لا تلزم بالنذر ، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله ان يطيعه ، بل عليه كفارة يمين اذا لم يفعل عند أحمد وغيره ، وعند آخرين لاشيء عليه ، فلا يصير بالنذر ماليس بطاعة ولا عبادة(٢)

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين وعهود أهل الفتوة ورماة البندق ونحو ذلك ليس على الرجل ان يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله الاماكان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث فى ذلك. ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع الى ماهو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة اذ كان المسلمون متفقين على انه لايجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل انه قربة وطاعة وبر وطريق الى الله واجب أو مستحب الا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك يعلم بالادلة المنصوبة على ذلك ، وما علم باتفاق الامة انه ليس بواجب ولا

«١» بل جعله من الشرك أو الكفر المتعدي الذي هو أضر من الشرك كما بيناه في تفسير (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وغيره راجع ص ٣٩٨ - ٤٠٤ من جزء التفسير الثامن وكذا ص ١٤٣ و١٤٧ و١٦٤ و١٨١ منه

«٢» لعله سقط من هنا : طاعة وعبادة منصوبين

مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال انه قربة وطاعة ، فكذلك هم متفقون على انه لا يجوز قصد التقرب به الى الله ، ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات ، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ، ولا بارادة وعمل ، وباهمال هذا الاصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء اذا لم يكن محرما لا ينهى عنه بل يقال انه جائز(١) لا يفرقون بين اتخاذه دينا وطاعة وبرا وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة ، ومعلوم ان اتخاذه دينا بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما وبالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التي هي اعظم من المعاصي التي يعلم انها معاصي سيئات ،

﴿ فصل ﴾

فلما نهيتهم عن ذلك اظهروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مدة والناس يذكرون عنهم الاصرار على الابتداع في الدين ، واظهار ما يخالف شرعة المسلمين ، ويطلبون الايقاع بهم ، وانا اسلك مسلك الرفق والاناة ، وأنتظر الرجوع والفيئة ، واؤخر الخطاب الى ان يحضر (ذلك الشيخ) المسجد الجامع. وكان قد كتب اليّ كتابا بعد كتاب فيه احتجاج واعتذار ، وعتب

« ١ » سقط جواب اذا من الناسخ ومعناه أنهم يرون جواز جعله قربة وعبادة . وهذا مثار كثير من البدع الحدثة . وذكر لي بعض علماء الازهر في هذه الايام ان بعض كبار علمائه كانوا يتكلمون فيما ينكره الوهابية من بدع القبور وغيرها ويستحسنون ذلك فقال بعضهم منكرا ولكنهم منعوا أن يستشفع بأصحابها الصالحين فقال له شيخ الازهر (الاستاذ أبو الفضل الجيزاوي) هذا هو الشرع فقال المنكر ما دليله ؟ فقال الشيخ انما يطلب الدليل على الاذن به الا على المنع ، فدل هذا على أن الشيخ أيد الله به السنة أعلمهم

وآثار وهو كلام باطل لا تقوم به حجة، بل اما احاديث موضوعة، او اسرائيليات غير مشروعة، وحقيقة الامر الصد عن سبيل الله واكل اموال الناس بالباطل. فقلت لهم: الجواب، يكون بالخطاب. فان جواب مثل هذا الكتاب لا يتم الا بذلك وحضر عندنا منهم شخص فنزعنا الغل من عنقه، وهؤلاء هم من أهل الاهواء الذين يتعبدون في كثير من الامور بأهوائهم لا بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ولهذا غالب وجدهم هوى مطلق لا يدرون من يعبدون وفيهم شَبَه قوي من النصارى الذين قال الله تعالى فيهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) ولهذا كان السلف يسمون اهل البدع أهل الأهواء،

فحملهم هواهم على ان تجمعوا تجمع الاحزاب، ودخلوا الى المسجد الجامع مستعدين للحراب، بالاحوال التي يعدونها للغلاب. فلما قضيت صلاة الجمعة أرسلت الى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونتفق على اتباع سبيله، فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم الى قصر الامارة وكأنهم اتفقوا مع بعض الاكابر على مطلوبهم ثم رجعوا الى مسجد الشاغو على ماذكر لي وهم من الصياح والاضطراب، على أمر من أعجب العجاب، فأرسلت اليهم مرة ثانية لاقامة الحجة والمعذرة، وطلبا للبيان والتبصرة، ورجاء المنفعة والتذكرة. فعمدوا الى القصر مرة ثانية، وذكر لي انهم قدموا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والعجيج، والازباد والارعاد، واضطراب الرءوس والاعضاء، والتقلب في نهر بَرَدى،

واظهار التوله الذي يخيلوا (١) به على الردى، وابراز مايدعونه من الحال والمحال، الذي يسلمه اليهم من أضلو من الجهال

فلما رأى الامير ذلك هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم فقيل له هم مشتكون، فقال ليدخل بعضهم، فدخل شيخهم وأظهر من الشكوى عليّ ودعوى الاعتداء مني عليهم كلاما كثيراً لم يبلغني جميعه، لكن حدثني من كان حاضراً ان الامير قال لهم: فهذا الذي يقوله من عنده أو يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا بل يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال فأي شيء يقال له؟ قالوا نحن لنا أحوال وطريق يسلم الينا (٢) قال فنسمع كلامه فمن كان الحق معه نصرناه، قالوا نريد أن تشد منا، قال لا ولكن أشد من الحق سواء كان معكم أو معه، قالوا ولا بد من حضوره؟ قال نعم، فكرروا ذلك فأمر باخراجهم، فأرسل اليّ بعض خواصه من أهل الصدق والدين ممن يعرف ضلالهم وعرفني بصورة الحال وانه يريد كشف أمر هؤلاء

فلما علمت ذلك ألقي في قلبي ان ذلك لامر يريده الله من اظهار الدين، وكشف حال أهل النفاق المبتدعين، لانتشارهم في أقطار الارضين، وما أحببت البغي عليهم والعدوان، ولا ان أسلك معهم الا أبلغ ما يمكن من الاحسان، فأرسلت اليهم من عرفهم بصورة الحال، واني اذا حضرت

«١» كذا ولعل أصله تحيلوا أي اتخذوا الحيل وسيلة لجاه فساقتهم الى الردى. ذلك بأن أفعالهم التي كرها ولباسهم وأغلالهم لها تأثير عظيم في قلوب العوام وأصحاب الاوهام

«٢» هذه كلمة باطلة قالها بعض الفقهاء المغرورين بالدجل فاتخذها الدجاجلة أصلا شرعيا وحكما إلهيا

كان ذلك عليكم من الوبال ، وكثر فيكم القيل والقال . وان من قعد أوقام قدام رماح أهل الايمان . فهو الذي أوقع نفسه في الهوان. فجاء الرسول وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار ، الذين يعرفون حقيقة الاسرار ، وأشاروا عليهم بموافقة ما أمروا به من اتباع الشريعة، والخروج عما ينكر عليهم من البدع الشنيعة. وقال شيخهم الذي يسيح بأقطار الارض كبلاد الترك ومصر وغيرها : أحوالنا تظهر عند التتار لا تظهر عند شرع محمد بن عبدالله . وانهم نزعوا الاغلال من الاعناق ، وأجابوا الى الوفاق

ثم ذكر لي انه جاءهم بعض أكابر غلمان المطاع (١) وذكر انه لابد من حضورهم لموعد الاجتماع . فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته ، واستنصرته واستهديته ، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك ، حتى ألقي في قلبي ان أدخل النار عند الحاجة الي ذلك . وانها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليل ، وانها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذه السبيل . وقد كان بقايا الصابئة اعداء إبراهيم امام الحنفاء بنواحي البطائح منضمين الى من يضاهيهم من نصارى الدهماء . وبين الصابئة ومن ضل من العبّاد المنتسبين الى هذا الدين ، نسب يعرفه من عرف الحق المبين، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والاسماعيلية . يخرجون الى مشابهة الصابئة الفلاسفة ثم الى الاشراك ثم الى جحود الحق تعالى . ومن شركهم الغلو في البشر ، والابتداع في العبادات، والخروج عن الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ماهو به لائق كالملحدين من أهل الاتحاد . والغالية من أصناف العباد

---

(١) لعل اصله الأمير المطاع

فلما أصبحنا ذهبت للميعاد ، وما أحببت أن استصحب احداً للاسعاد لكن ذهب أيضا بعض من كان حاضرا من الاصحاب ، والله هو المسبب لجميع الاسباب . وبلغني بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من اكابر الامراء ، وقالوا انواعا مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء ، الذي استحوذوا به على اكثر أهل الارض من الاكابر والرؤساء ، مثل زعمهم ان لهم أحوالا لا يقاومهم فيها احد من الاولياء ، وان لهم طريقا لا يعرفها أحد من العلماء . وان شيخهم هو في المشايخ كالخليفة ، وانهم يتقدمون على الخلق بهذه الاخبار المنيفة ، وان المنكر عليهم ما هو آخذ بالشرع الظاهر ، غير واصل الي الحقائق والسرائر . وأن لهم طريقا وله طريق . وهم الواصلون إلى كنه التحقيق ، واشباه هذه الدعاوي ذات الزخرف والتزويق . وكانوا لفرط انتشارهم في البلاد ، واستحواذهم على الملوك والامراء والاجناد ، لخفاء نور الاسلام ، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام ، وطموس آثار الرسول فى اكثر الامصار ، ودروس حقيقة الاسلام في دولة التتار ، لهم في القلوب موقع هائل ، ولهم فيهم من الاعتقاد مالا يزول بقول قائل

قال المخبر فغدا أولئك الامراء الاكابر . وخاطبوا فيهم نائب السلطان بتعظيم امرهم الباهر . وذكر لى انواعا من الخطاب ، والله تعالى أعلم بحقيقة الصواب . والامير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق . فأعاد الرسول لي مرة ثانية فبلغه أنّا فى الطريق . وكان كثير من اهل البدع الاضداد ، كطوائف من المتفقهة والمتفقرة واتباع اهل الاتحاد ، مجدين في نصرهم بحسب مقدورهم ، مجهزين لمن يعينهم في حضورهم ، فلما حضرت

وجدت النفوس في غاية الشوق الى هذا الاجتماع، متطلعين الى ما سيكون طالبين للاطلاع، فذكر لي نائب السلطان وغيره من الامراء، بعض ماذكروه من الاقوال المشتملة على الافتراء، وقال انهم قالوا انك طلبت منهم الامتحان، وأن يحموا الاطواق ناراً ويلبسوها فقلت هذا من البهتان.

وها أنا ذا أصف ماكان قلت للامير: نحن لا نستحل أن نأمر أحداً بأن يدخل ناراً ولا يجوز طاعة من يأمر بدخول النار، وفي ذلك الحديث الصحيح، وهؤلاء يكذبون في ذلك وهم كذابون مبتدعون قد افسدوا من أمر دين المسلمين ودنياهم ماالله به عليم. وذكرت تلبيسهم على طوائف من الامراء وانهم لبسوا على الامير المعروف بالايدمرى وعلى قفجق نائب السلطنة وعلى غيرهما وقد لبسوا أيضا على الملك العادل كتبغا في ملكه وفي حالة ولاية حماه وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر، وضاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم فذكرت تلبيسهم على الايدمري وانهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنة، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة، ووعدوه بالملك، وانهم وعدوه أن يروه رجال الغيب، فصنعوا خشبا طوالا وجعلوا عليها من يمشي كهيئة الذي يلعب باكر الزجاج فجعلوا يمشون على جبل المزة وذاك يرى من بعيد قوما يطوفون على الجبل وهم يرتفعون عن الارض وأخذوا منه مالا كثيراً ثم انكشف له امر هم

قلت للامير وولده هو الذي في حلقة الجيش يعلم ذلك وهو ممن حدثني بهذه القصة. وأما قفجق فانهم ادخلوا رجلا في القبر يتكلم واوهموه أن الموتى تتكلم، وأتوا به في مقابر باب الصغير الى رجل زعموا أنه الرجل

الشمراني الذي بجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته وقالوا انه طلب منه جملة من المال ، فقال قفجق الشيخ يكاشف وهو يعلم أن خزائني ليس فيها هذا كله ، وتقرب قفجق منه وجذب الشعر فانقلع الجلد الذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز ، فذكرت للامير هذا . ولهذا قيل لي إنه لما انقضى المجلس وانكشف حالهم للناس كتب اصحاب قفجق اليه كتابا وهو نائب السلطنة بحماه يخبره بصورة ماجرى

وذكرت للامير انهم مبتدعون بانواع من البدع مثل الاغلال ونحوها وانا نهيناهم عن البدع الخارجة عن الشريعة فذكر الامير حديث البدعة وسألني عنه فذكرت حديث العرباض بن سارية وحديث جابر ابن عبد الله وقد ذكرتهما بعد ذلك في المجلس العام كما سأذكره

قلت للامير أنا ما امتحنت هؤلاء لكن هم يزعمون ان لهم احوالا يدخلون بها النار وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك ويقولون لنا هذه الاحوال التي يعجز عنها أهل الشرع فليس لهم أن يعترضوا علينا بل يسلم الينا مانحن عليه سواء وافق الشرع أو خالفه ، وأنا قد استخرت الله سبحانه انهم ان دخلوا النار ادخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوبا ، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار . فقال الامير ولم ذاك قلت لانهم يطلون جسومهم بادوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطاق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم ، وأنا لا اطلي جلدي بشيء فاذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق ، فاستعظم الامير هجومي على النار وقال أتفعل ذلك ؟ فقلت له نعم قد استخرت الله في ذلك والقي في قلبي أن أفعله ،

ونحن لانرى هذا وامثاله ابتداء فان خوارق العادات إنما تكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين له باطنا وظاهراً لحجة أو حاجة ،فالحجة لاقامة دين الله ، والحاجة لما لابد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله ، وهؤلاء اذا اظهروا مايسمونه اشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون انها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من ارواحنا وجسومنا واموالنا ، فلنا حينئذ أن نعارض مايظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات

وليعلم أن هذا مثل معارضة موسى للسحرة لما اظهروا سحرهم أيد الله موسى بالعصا التي ابتلعت سحرهم . فجعل الامير يخاطب من حضره من الامراء على السماط بذلك وفرح بذلك وكانهم كانوا قد اوهموه أن هؤلاء لهم حال لا يقدر أحد على رده، وسمعته يخاطب الامير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر وأنا جالس بينهما على رأس السماط بالتركي مافهمته منه انه قال اليوم تري حربا عظيما ولعل ذلك كان جوابا لمن كان خاطبه فيهم على ماقيل

وحضر شيوخهم الاكابر فجعلوا يطلبون من الامير الاصلاح واطفا هذه القضية ويترفقون ، فقال الامير انما يكون الصلح بعد ظهور الحق ؛ وقمنا الى مقعد الامير بزاوية القصر أنا وهو وبهادر فسمعته يذكر له أيوب الحمال بمصر والمولهين ونحو ذلك فدل ذلك على انه كان عند هذا الامير لهم صورة معظمة، وان له فيهم ظنا حسنا والله أعلم بحقيقة الحال فانه ذكر لي ذلك

وكان الامير أحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة ليتبين له الحق فانه

من أكابر الامراء واقدمهم واعظمهم حرمة عنده وقد قدم الآن وهو يحب تأليفه واكرامه فأمر ببساط يبسط في الميدان ، وقد قدم البطائحية وهم جماعة كثيرون وقد اظهروا أحوالهم الشيطانية من الازباد والارغاء وحركة الرءوس والاعضاء ، والطفر والحبو والتقلب ، ونحو ذلك من الاصوات المنكرات ، والحركات الخارجة عن العادات ، المخالفة لما أمر به لقمان لابنه في قوله (واقصد في مشيك واغضض من صوتك)

فلما جلسنا وقد حضر خلق عظيم من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامة وغيرهم وحضر شيخهم الاول المشتكي وشيخ آخر يسمى نفسه خليفة سيده احمد ويركب بعلمين وهم يسمونه عبدالله الكذاب ولم اكن أعرف ذلك وكان من مدة قد قدم علي منهم شيخ بصورة لطيفة وأظهر ماجرت به عادتهم من المسألة فاعطيته طلبته ولم أتفطن لكذبه حتى فارقني فبقى في نفسي أن هذا خفى على تلبيسه الى أن غاب ومايكاد يخفى علي تلبيس أحد بل ادركه في أول الامر فبقى ذلك في نفسي ولم أره قط الى حين ناظرته، ذكر لى أنه ذاك الذي كان اجتمع بى قديما فتعجبت من حسن صنع الله انه هتكه في أعظم مشهد يكون حيث كتم تلبيسه بيني وبينه

فلما حضروا تكلم منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه طلب الصلح والعفو عن الماضي والتوبة وانا مجيبون الى ماطلب من ترك هذه الاغلال وغيرها من البدع ومتبعون للشريعة (فقلت) أما التوبة فمقبولة قال الله تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) هذه الى جنب هذه. وقال تعالى (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الاليم) فاخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبسهم الاطواق وذكر أن وهب

ابن منبه روى انه كان في بني اسرائيل عابد وانه جعل فى عنقه طوقا فى حكاية من حكايات بني اسرائيل لاتثبت (فقلت) لهم ليس لنا أن نتعبد فى ديننا بشيء من الاسرائيليات المخالفة لشرعناقدروي الامام احمد في مسنده عن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأي بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال « أمتهوكون ياابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسي حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم » وفى مراسيل ابى داود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مع بعض أصحابه شيئا من كتب أهل الكتاب فقال « كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم انزل الى نبي غير نبيهم » وانزل الله تعالى (أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فنحن لايجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله اذا خالف شرعنا وانما علينا أن نتبع ماأنزل علينا من ربنا و نتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به الينا رسولنا كما قال تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بنى اسرائيل في حكاية لاتعلم صحتها وماعلينا من عباد بنى اسرائيل (تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) هات مافى القرآن ومافي الاحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم وذكرت هذاوشبهه بكيفية قوية

فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الامير نحن نريدأن تجمع لنا القضاة الاربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية (فقلت) له هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين بل كلهم ينهى عن التعبد به ويعده

بدعة . وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكانى مفتى الشافعية ودعوته وقلت يا كمال الدين ماتقول في هذا ؟ فقال هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة أو كما قال، وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك (وقلت) ليس لاحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشك هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر فانى تكلمت بكلام بعد عهدي به

فانتدب ذلك الشيخ عبدالله ورفع صوته وقال نحن لنا أحوال وأمور باطنة لا يوقف عليها ، وذكر كلاما لم اضبط لفظه مثل المجالس والمدارس والباطن والظاهر ، ومضمونه أن لنا الباطن ولغيرنا الظاهر ، وأن لنا أمرا لا يقف (١) عليه أهل الظاهر فلا ينكرونه علينا (فقلت) له ورفعت صوتي وغضبت : الباطن والظاهر والمجالس والمدارس والشريعة والحقائق كل هذا مردود الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليس لاحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا من المشايخ والفقراء ، ولا من الملوك والامراء ، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم ، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وذكرت هذا ونحوه

(فقال) ورفع صوته نحن لنا الاقوال وكذا وكذا وادعى الاحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها وأنهم يستحقون تسليم الحال اليهم لاجلها (فقلت) ورفعت صوتى وغضبت انا أخاطب كل احمدي من مشرق الارض الي مغربها أي شيء فعلوه في النار فانا أصنع مثل

---

(١) وفي نسخة لا يقدر

ماتصنعون ، ومن احترق فهو مغلوب وربما قلت فعليه لعنة الله . ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار ، فسألني الامراء والناس عن ذلك فقلت لان لهم حيلا في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق فضج الناس بذلك فاخذ يظهر القدرة على ذلك فقال انا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت (فقلت) فقم وأخذت أحرز (١) عليه في القيام الى ذلك فمد يده يظهر خلع القميص ، (فقلت) لا حتى تغتسل في الماء الحار والخل فاظهر الوهم على عادتهم (فقال) من كان يحب الامير فليحضر خشبا أو يقال حزمة حطب (فقلت) هذا تطويل وتفريق للجمع ولا يحصل به مقصود ، بل قنديل يوقد وادخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه لعنة الله ، أو قلت فهو مغلوب . فلما قلت ذلك تغير وذل وذكر لي أن وجهه اصفر .

ثم قلت لهم ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة ولو طرتم في الهواء ، ومشيتم على الماء ، ولو فعلتم مافعلتم لم يكن في ذلك مايدل على صحة ماتدعونه من مخالفة الشرع ولا على إبطال الشرع فان الدجال الاكبر يقول للسماء امطري فتمطر ، وللارض انبتي فتنبت ، وللخربة اخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه ، ويقتل رجلا ثم يمشي بين شقيه . ثم يقول له قم فيقوم (٢) ، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون

« ١ » كذا في الاصل ولعله أصر عليه في القيام

« ٢ » كذا في الاصل وفي رواية مسلم في حديث الدجال قال فيقول اتؤمن بى قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من فرقه حتى

لعنه الله . ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب

وذكرت قول ابي يزيد البسطامي :لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الاوامر والنواهي . وذكرت عن يونس بن عبد الاعلى انه قال للشافعي اتدري ماقال صاحبنا يعني الليث بن سعد ؟قال لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء فلا تغتر به. فقال الشافعي لقد قصر الليث لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به، وتكلمت في هذا ونحوه بكلام بعد عهدي به . ومشايخهم الكبار يتضرعون عند الامير في طلب الصلح وجعلت ألح عليه في اظهار ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون وقد اجتمع عامة مشايخهم الذين في البلد والفقراء المولهون منهم وهم عدد كثير والناس يضجون في الميدان ويتكلمون باشياء لاأضبطها

فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا امامضمونه (فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) وذكروا أيضاً أن هذا الشيخ يسمى عبد الله الكذاب . وأنه الذي قصدك مرة فاعطيته ثلاثين درهما . فقلت ظهر لي حين أخذ الدراهم وذهب انه ملبس وكان قد حكى حكاية عن نفسه مضمونها انه أدخل النار في لحيته قدام صاحب حماة . ولما فارقني وقع في قلبي أن لحيته مدهونة وأنه دخل الروم واستحوذ عليهم فلما ظهر للحاضرين عجزهم وكذبهم وتلبيسهم وتبين للامراء الذين

يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوى قائما قال ثم يقول له أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول ياأيها الناس انه لا يفعل بعدبأحد من الناس الحديث اهـ من حاشية الاصل

كانوا يشدون منهم انهم مبطلون فرجعوا وتخاطب الحاج بهادر ونائب السلطان وغيرهما بصورة الحال وعرفوا حقيقة الحال وقمنا الى داخل ودخلنا وقد طلبوا التوبة عما مضى وسألني الامير عما يطلب منهم فقلت متابعة الكتاب والسنة مثل أن يعتقد(١) أنه لا يجب عليه اتباعهما أو انه يسوغ لاحد الخروج من حكمهما ونحو ذلك أو أنه يجوز اتباع طريقة تخالف بعض حكمهما ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسنة التى توجب الكفر وقد توجب القتل دون الكفر وقد توجب قتال الطائفة الممتنعة دون قتل الواحد المقدور عليه

(فقالوا) نحن ملتزمون الكتاب والسنة أتنكر علينا غير الاطواق؟ نحن نخلعها (فقلت) الاطواق وغير الاطواق ليس المقصود شيئا معينا وانما المقصود أن يكون جميع المسلمين تحت طاعة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال الامير فاى شيء الذي يلزمهم من الكتاب والسنة؟ فقلت حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاما عاما ومن خرج عنه ضربت عنقه — وكرر ذلك وأشار بيده الى ناحية الميدان — وكان المقصود أن يكون هذا حكما عاما في حق جميع الناس فان هذا مشهد عام مشهور قد توفرت الهمم عليه فيتقرر عند المقاتلة واهل الديوان والعلماء والعباد وهؤلاء وولاة الامور انه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه

«١» الامثلة الثلاثة التي ذكرها هي لعدم متابعة الكتاب والسنة لا لمتابعتها المطلوبة فلعلاقد سقط من هذا الموضوع جملة مضمونها : والرجوع عما يخالفها مثل كذا وكذا

(قلت) ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورسوله فان من هؤلاء من لا يصلي ومنهم من يتكلم فى صلاته حتى إنهم بالامس بعد أن اشتكوا علي فى عصر الجمعة جعل أحدهم يقول في صلب الصلاة ياسيدي احمد شيء لله. وهـذا مع أنه مبطل للصلاة فهو شرك بالله ودعاء لغيره في حال مناجاته التي أمرنا أن نقول فيها (إياك نعبد وإياك نستعين) وهذا قد فعل بالامس بحضرة شيخهم فامر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالاستغفار على عادتهم في صغير الذنوب ولم يأمره باعادة الصلاة وكذلك يصيحون فى الصلاة صياحا عظيما وهذا منكر يبطل الصلاة

(فقال) هذا يغلب على أحدهم كما يغلب العطاس (فقلت) العطاس من الله والله يحب العطاس ويكره التثاؤب ولا يملك أحدهم دفعه، وأما هذا الصياح فهو من الشيطان وهو باختيارهم وتكلفهم ويقدرون على دفعه، ولقد حدثني بعض الخبيرين بهم بعد المجلس انهم يفعلون فى الصلاة مالا تفعله اليهود والنصارى مثل قول أحدهم انا على بطن امرأة الامام وقول الآخر كذا وكذا من الامام ونحو ذلك من الاقوال الخبيثة، وأنهم اذا أنكر عليهم المنكر ترك الصلاة يصلون بالتوبة وانا أعلم أنهم متولين(١) شياطين ليسوا مغلوبين على ذلك كما يغلب الرجل في بعض الاوقات على صيحة أو بكاء في الصلاة أو غيرها

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجموعهم بالميدان باصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم (قلت) له أهذا موافق للكتاب

(١) كذا في الاصل ومقتضى الاعراب متولون الا أن يكون حذف من الكلام شيء فيه ناصب لقوله متولين

والسنة؟ (فقال) هذا من الله حال يرد عليهم (فقلت) هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحبه الله ولا رسوله (فقال) ما في السموات والارض حركة ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئته وارادته (فقلت) له هذا من باب القضاء والقدر وهكذا كل ما في العالم من كفر وفسوق وعصيان هو بمشيئته وإرادته وليس ذلك بحجة لاحد في فعله بل ذلك مما زينه الشيطان وسخطه الرحمن.

(فقال) فبأي شيء تبطل هذه الاحوال (فقلت) بهذه السياط الشرعية. فاعجب الامير وضحك وقال اي والله بالسياط الشرعية، تبطل هذه الاحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد ومن لم يجب الى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية. وأمسكت سيف الامير وقلت هذا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلامه وهذا السيف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله ضربناه بسيف الله وأعاد الامير هذا الكلام وأخذ بعضهم يقول فاليهود والنصارى يقرّون ولا نقر نحن؟ (فقلت) اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم والمبتدع لا يقر على بدعته. فأفحموا لذلك

وحقيقة الامر أن من أظهر منكراً في دار الاسلام لم يقر على ذلك فمن دعا الى بدعة وأظهرها لم يقر ولا يقر من أظهر الفجور وكذلك أهل الذمة لا يقرون على اظهار منكرات دينهم، ومن سواهم فان كان مسلما أخذ بواجبات الاسلام وترك محرماته، وان لم يكن مسلما ولا ذميا فهو إما مرتد واما مشرك واما زنديق ظاهر الزندقة. وذكرت ذم المبتدعة فقلت روى مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته «ان أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها(١) وكل بدعة ضلالة» وفي السنن عن العرباض بن سارية قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل يارسول كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا؟ فقال «أوصيكم بالسمع والطاعة فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» وفي رواية(٢) «وكل ضلالة في النار» (فقال) لي البدعة مثل الزنا وروى حديثا في ذم الزنا (فقلت) هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والزنا معصية والبدعة شر من المعصية كما قال سفيان الثوري البدعة أحب الى ابليس من المعصية فان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها. وكان قد (قال) بعضهم نحن نتوب الناس (فقلت) مماذا تتوبونهم؟ قال من قطع الطريق والسرقة ونحو ذلك (فقلت) حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم فانهم كانوا فساقا يعتقدون تحريم ماهم عليه ويرجون رحمة الله ويتوبون اليه أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين ، شركين خارجين من شريعة الاسلام، يحبون ما يبغضه الله ويبغضون ما يحبه الله، وتبين أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي

(١) المنار : لفظ مسلم فان خير الحديث كتاب الله الخ (٢) هذه الزيادة شاذة ليست في السنن فذكر شيخ الاسلام وحافظ السنة لها غريب ، وكأنه أراد بها زيادة الترهيب

(قلت) مخاطبا للامير والحاضرين اما المعاصي فمثل ماروى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رجلا كان يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان كلما أتي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جلده الحد، فلعنه رجل مرة وقال : لعنه الله ما اكثر مايؤتى به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله» (قلت) فهذا رجل كثير الشرب للخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ونهى عن لعنته

وأما المبتدع فمثل ماأخرجا في الصحيحين عن على بن ابي طالب وعن ابي سعيد الخدري وغيرهما ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم فجاءه رجل ناتيء الجبين كث اللحية محلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ماقال فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «يخرج من ضئضيء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد» وفي رواية «لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل» وفي رواية «شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه» قلت فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وماهم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم وقتلهم علي بن ابي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لان يبتلى العبد بكل ذنب

ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الاهواء. فلما ظهر قبح البدع في الاسلام وانها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر وأنهم مبتدعون بدعا منكرة فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر أخذ شيخهم عبد الله يقول يا مولانا لا تتعرض لهذا الجناب العزيز — يعني أتباع احمد ابن الرفاعي — فقلت منكراً بكلام غليظ ويحك أى شيء هو الجناب العزيز وجناب من خالفه أولى بالعز بار والزجنة (١) تريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله (فقال) يامولانا يحرقك الفقراء بقلوبهم (فقلت) مثل ما احرقني الرافضة لما قصدت الصعود اليهم وصار جميع الناس يخوفوني منهم ومن شرهم ويقول أصحابهم ان لهم سرا مع الله فنصر الله وأعان عليهم. وكان الامراء الحاضرون قد عرفوا بركة مايسره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل

وقلت لهم ياشبه الرافضة يابيت الكذب — فان فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ماشاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم وفيهم من الكذب ماقد يقاربون به الرافضة في ذلك أو يساوونهم او يزيدون عليهم فانهم من أكذب الطوائف حتى قيل فيهم لاتقولوا أكذب من اليهود على الله ولكن قولوا أكذب من الاحمدية على شيخهم، وقلت لهم انا كافر بكم وباحوالكم (فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون)

ولما رددت عليهم الاحاديث المكذوبة أخذوا يطلبون مني كتبا صحيحة ليهتدوا بها فبذلت لهم ذلك، وأعيد الكلام انه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه، وأعاد الامير هذا الكلام واستقر الكلام

(١) كذا في الاصل

على ذلك . والحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده.

*

هذا آخر ماجرى مع البطائحية لشيخ الاسلام
وامام الائمة الاعلام . الشيخ تقي الدين
احمد الشهير بابن تيمية
قدس الله روحه
ونور ضريحه
ورضي عنه

(انتهى على الاصل البغدادي كتابته)

لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة

(ومسائل أخرى فقهت فيهم)

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسئلة) سئلها الشيخ الامام العالم العلامة ، امام الوقت ، فريد الدهر، جوهر العلم، لب الايمان، قطب الزمان، مفتي الفرق، شيخ الاسلام، تقي الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الامام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه ونفع به آمين : في جماعة يجتمعون فى مجلس ويلبسون لشخص منهم لباس الفتوة ويديرون بينهم فى مجلسهم شربة فيها ملح وماء يشربونها ، ويزعمون أن هذا من الدين، ويذكرون في مجلسهم ألفاظا لا تليق بالعقل والدين فمنها أنهم يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبس علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لباس الفتوة ثم أمره أن يلبس من شاء ، ويقولون ان اللباس انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى صندوق ويستدلون عليه بقوله تعالى (يابني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم) الآية — فهل هو كما زعموا أم كذب مختلق ؟ وهل هو من الدين أم لا ؟ واذا لم يكن من الدين فما يجب على من يفعل ذلك أو يعين عليه ؟ ومنهم من ينسب ذلك الى الخليفة الناصر لدين الله الى عبد الجبار ويزعم أن ذلك من الدين، فهل لذلك أصل أم لا ؟ وهل الاسماء التي يسمون بها بعضهم بعضا من اسم الفتوة ورءوس الاحزاب والزعماء فهل لهذا أصل أم لا ؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه دسكرة، ويقوم للقوم

نقيب الى الشخص الذى يلبسونه فينزعه اللباس الذي عليه بيده ويلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس الفتوة بيده، فهل هذا جائز ام لا ؟ واذا قيل لايجوز فعل ذلك ولا الاعانة عليه فهل يجب على ولي الامر منعهم من ذلك ؟ وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا؟ واذا قيل لا أصل لها فى الشريعة فهل يجب على غير ولي الامر أن ينكر عليهم ويمنعهم من ذلك أم لا؟ مع امكانه من الانكار (١) وهل أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو من التابعين أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه الفتوة المذكورة أو امر بها ام لا؟ وهل خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النور ام خلق من الاربع عناصر أم من غير ذلك ؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس: لولاك ماخلق الله عرشا ولا كرسيا ولا ارضا ولا سماء ولا شمسا ولا قمرا ولا غير ذلك صحيح هو أم لا؟ وهل الاخوة التي يواخيها المشايخ بين الفقراء فى السماع وغيره يجوز فعلها فى السماع ونحوه أم لا ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين المهاجرين والانصار أم بين كل مهاجري وأنصاري ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم على بن ابي طالب كرم الله وجهه أم لا؟ بينوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة وابسطوا لنا الجواب في ذلك بسطا شافيا مأجورين أثابكم الله تعالى

*

لباس خرقة الفتوة مبتدع

﴿ الجواب ﴾ الحمد لله أما ماذكر من إلباس لباس الفتوة السراويل أو غيره واسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ولم يفعل هذا رسول الله

(١) الوجه أن يقال تمكنه بدل امكانه فلعله محرف

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحد من أصحابه لا على بن ابي طالب ولا غيره ولا من التابعين لهم باحسان : والاسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر الي عبد الجبار الي ثمامة فهو اسناد لاتقوم به حجة، وفيه من لا يعرف ولا يجوز لمسلم أن ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هـذا الاسناد المجهول الرجال أمراً من الامور التي لا تعرف عنه فكيف اذا نسب اليه مايعلم انه كذب وافتراء عليه، فان العالمين بسنته وأحواله متفقون على أن هذا من الكذب المختلق عليه وعلى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وما ذكروه من نزول هذا اللباس في صندوق هو من اظهر الكذب باتفاق العارفين بسنته، واللباس الذي يواري السوءة هو كل ماستر العورة من جميع أصناف اللباس المباح، انزل الله تعالى هذه الآية لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون: ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها، فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والكذب في هذا اظهر من الكذب فيما ذكر من لباس الخرقة، وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن ردائه، وانه فرق الخرق على أصحابه، وان جبريل اتاه وقال له ان ربك يطلب نصيبه من زيق الفقر، وانه علق ذلك بالعرش. فهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع دفوف وشبابات ولا رقص، ولا سقط عنه ثوب من ثيابه فى ذلك ولا قسمه على اصحابه وكل مايروى من ذلك فهو كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسنته

فصل

(شروط لباس خرقة الفتوة)

والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة ماكان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الامانة واداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الارحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالعفو عن الظالم واحتمال الاذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر اذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشرطوها، وماكان منها مما نهى الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين اهل الجاهلية ان كلا منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل ، ويعادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله(١) وفي الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله؟ من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله اوثق » رواه البخاري . وفي السنن عنه أنه قال « المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والاحلاف وغير ذلك فانها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين ، ما كان

---

(١) سقط من الاصل أول الحديث من هنا الى قوله كتاب الله فنقلناه من صحيح البخاري

من الامر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فانه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله . وان كان مما نهى الله عنه ورسوله فانه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله ، وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولا يتعاقدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر الله به ورسوله ، بل على كل منهم ان يوفوا بالعقود والعهود التي عهدها الله الى بني آدم كما قال الله تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم) وكذلك مايعقده المرء على نفسه كعقد النذر او يعقده الاثنان كعقد البيع والاجارة والهبة وغيرهما او ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية ، فانه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئا مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلا

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » . والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهى شعبة من دين المشركين واهل الكتاب الذين عقدوا عقوداً أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله، ونهوا فيها عما امر الله به ورسوله. فهذا اصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه

﴿ فصل ﴾

(الفتى والفتوة والزعيم والحزب والدسكرة وماقالوه فيها)

وأما لفظ الفتى فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) ومنه قوله تعالى (واذ قال موسى لفتاه) لكن لما كانت اخلاق الاحداث اللين صار

كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الاخلاق كقول بعضهم طريقنا تفتى وليس بتقوى (؟) وقول بعضهم الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك، وتحسن الى من يسيء اليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة. وقول بعضهم الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى. وامثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الاسماء كلفظ الاحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الاسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان اهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان اهله مذمومين، كلفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك

وأما لفظ الزعيم فانه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) فمن تكفل بامر طائفة فانه يقال هو زعيم فان كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك وان كان شراً كان مذموما على ذلك.

وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وان كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق

الذي ذمه الله تعالى ورسوله فان الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوي ونهيا عن التعاون على الاثم والعدوان

وفى الصحيحين عن النبي صلى الله تعالي عليه وسلم أنه قال : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه . وفى الصحيح عنه انه قال « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله » وفى الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » قيل يارسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما؟ قال « تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه » . وفى الصحيح عنه انه قال« خمس تجب للمسلم على المسلم: يسلم عليه اذا لقيه، ويعوده اذا مرض ، ويشمته اذا عطس ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشيعه اذا مات » . وفى الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير مايحب لنفسه » .

فهذه الاحاديث وامثالها فيها أمر الله ورسوله بما امر به من حقوق للمؤمنين بعضهم على بعض . وفى الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » . وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امركم »

وفى السنن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «الا انبئكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قالوا بلى يارسول الله قال «صلاح ذات البين، هي الحالقة لاأقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» فهذه الامور مما نهى الله ورسوله عنها

وأما لفظ الدسكرة فليست من الالفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد اوذم ولكن هي فى عرف الناس يعبر عنها عن المجامع كما في حديث هرقل انه جمع الروم في دسكرة، ويقال للمجتمعين على شرب الخمر انهم في دسكرة، فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو الى الذم اقرب لأن الغالب في عرف الناس انهم يسمون بذلك الاجتماع(١) على الفواحش والخمر والغناء

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على كل مسلم لكنه من فروض الكفايات فاذا قام بهما من يسقط به الفرض من ولاة الامر أو غيرهم والا وجب على غيرهم ان يقوم من ذلك بما يقدر عليه

﴿ فصل ﴾

(مم خلق النبي (ص) وبم تتفاضل المخلوقات)

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله خلق الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض

(١) لعله يريد محل الاجتماع المذكور ويمكن ان يكونوا توسعوا فيه فأطلقوه على الاجتماع نفسه

باعتبار ما خلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين فلما سواه ونفخ فيه من روحه واسجد له الملائكة وفضله عليهم بتعليمه اسماء كل شيء، وبأن خلقه بيديه، وبغير ذلك. فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور، وهذه مسئلة كبيرة مبسوطة فى غير هذا الموضع فان فضل بني آدم هو باسباب يطول شرحها هنا وانما يظهر فضلهم اذا دخلوا دار القرار (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر الى كبر، ثم من دار الى دار، فلا يظهر فضله وهو فى ابتداء أحواله وانما يظهر فضله عند كمال احواله، بخلاف الملك الذي تشابه اول امره وآخره. ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الانبياء حيث نظر الى أحوال الانبياء وهم في اثناء الاحوال، قبل أن يصلوا الى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال.

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الاقلام، وعلا على مقامات الملائكة والله تعالى اظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحي الآدميين من الانبياء والاولياء ما لم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات، فخلق بدنه من الارض وروحه من الملا الاعلى، ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم (الكبير)

ومحمد سيد ولد آدم وافضل الخلق واكرمهم عليه ومن هنا قال من قال ان الله خلق من اجله العالم، أو انه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيا ولا سماء ولا ارضا ولا شمسا ولا قمراً، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدرى قائله. ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله (سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) وقوله (١) (الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ماسألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن لله فيها حكما عظيمة غير ذلك واعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما اسبغ عليهم من النعمة، فاذا قيل فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة اخرى وكذلك قول القائل لو لا كذا ما خلق كذا، لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم اخرى عظيمة ، بل يقتضي اذا كان افضل صالحي بني آدم وافضلهم(٢) محمد، وكانت خلقته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة مقصودة من غيره، وصار تمام الخلق، ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم(٢) والله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة. وسيد ولد آدم هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله تعالى عليه وسلم « اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم

(١) كان قد سقط من الاصل آخر الآية السابقة وأول الآية اللاحقة
(٢) كذا في الاصل ولا يخلو من سقط وتحريف

لمنجدل في طينتـه » أي كتبت نبوتي واظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد اذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا، ومحمد انسان هذا العين، وقطب هذه الرحى، واقسام هذا الجمع كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات، فما ينكر أن يقال انه لاجله خلقت جميعها، وإنه لولاه لما خلقت، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك

وأما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى باشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردوداً غير مقبول فقد صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم، انما الله اله واحد) والله قد جعل له حقا لايشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له، ولا الدعاء إلا له، ولا التوكل الا عليه، ولا الرغبة الا اليه، ولا الرهبة الا منه، ولا ملجأ ولا منجا منه الا اليه، ولا يأتي بالحسنات الا هو، ولا يذهب السيئات الا هو، ولا حول ولا قوة الا به (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه * ان كل من في السموات والارض

الا آتي الرحمن عبداً ه لقد احصاهم وعدهم عداه وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده، وكذلك في قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله والرسول . وأما التوكل فعلى الله وحده، والرغبة الى الله وحده

فصل

وأما المؤاخاة فان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والانصار لما قدم المدينة كما آخى بين سلمان الفارسي وبين أبي الدرداء وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة حتى انزل الله تعالى (واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) فصاروا يتوارثون بالقرابة وفي ذلك انزل الله تعالى (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) وهذا هو المحالفة واختلف العلماء هل التوارث بمثل ذلك عند عدم القرابة والولاء محكم أو منسوخ؟ على قولين (أحدهما) أن ذلك منسوخ وهو مذهب مالك والشافعي واحمد فى اشهر الروايتين عنه ولما ثبت في صحيح مسلم عنه انه قال « لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الاسلام إلا شدة » (والثاني) أن ذلك محكم وهو مذهب أبي حنيفة واحمد في الرواية الاخرى عنه

وأما المؤاخاة بين المهاجرين كما يقال انه آخى بين أبي بكر وعمر وانه آخى علياً ونحو ذلك فهذا كله باطل وان كان بعض الناس ذكر انه فعل

بمكة وبعضهم ذكر انه فعل بالمدينة وذلك نقل ضعيف إما منقطع و إما باسناد ضعيف والذي في الصحيح هو ماتقدم ومن تدبر الاحاديث الصحيحة والسيرة النبوية الثابتة تيقن أن ذلك كذب

وأما عقد الاخوة بين الناس في زماننا فان كان المقصود منها التزام الاخوة الايمانية التي اثبتها الله بين المؤمنين بقوله (إنما المؤمنين اخوة) وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه» وقوله « لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ، ولا يستام على سوم أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه » وقوله « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتي يحب لاخيه من الخير مايحبه لنفسه » ونحو ذلك من الحقوق الايمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن . فهذه الحقوق واجبة بنفس الايمان ، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج ، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما اوجب الله ورسوله ، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن ، وان لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة ، وان كان المقصود منها اثبات حكم خاص كما كان بين المهاجرين والانصار ، فهذه فيها للعلماء قولان بناء على أن ذلك منسوخ أم لا ، فمن قال انه منسوخ — كمالك والشافعي واحمد في المشهور عنه — قال : إن ذلك غير مشروع . ومن قال انه لم ينسخ — كما قال أبو حنيفة واحمد في الرواية الاخرى — قال انه مشروع

وأما الشروط التي يلتزمها كثير من الناس في السماع وغيره مثل أن يقول: على المشاركة في الحسنات، وأينا خلص يوم القيامة خلص صاحبه ونحو ذلك .فهذه كلها شروط باطلة فان الامر يومئذ لله ، هو(يوم لا تملك

نفس لنفس شيئا) وكما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ، وما نري معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون)

وكذلك يشترطون شروطا من الامور الدنيوية ولا يوفون بها وما اعلم أحداً ممن دخل في هذه الشروط الزائدة على ماشرطه الله ورسوله وفى بها بل هو كلام يقولونه عند غلبة الحال، لاحقيقة له في المال واسعد الناس من قام بما اوجبه الله ورسوله فضلا عن أن يوجب على نفسه زيادات على ذلك — وهذه المسائل قد بسطت في غير هذا الموضع والله أعلم

(قاله احمد بن تيمية الحراني)

كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية

الى العارف بالله الشيخ نصر المنبجى

(قال الراوي) كتاب كتبه الشيخ الامام وحيد دهره، وفريد عصره، علامة زمانه ناصر السنة مؤيد الشريعة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن تيمية الحراني فسح الله تعالى في مدته وأعاد علينا من بركته إلى الشيخ القدوة أبي الفتح نصر المنبجي سنة اربع وسبعمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد بن تيمية الى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي الفتح نصر، فتح الله على باطنه وظاهره مافتح به على قلوب اوليائه، ونصره على شياطين الانس والجن في جهره واخفائه، ونهج به الطريقة المحمدية الموافقة لشرعته، وكشف به الحقيقة الدينية المميزة بين خلقه وطاعته، وارادته ومحبته، حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية والكلمات الدينية، وبين المؤمنين الصادقين الصالحين، ومن تشبه بهم من المنافقين، كما فرق الله بينهما في كتابه وسنته

(أما بعد) فان الله تعالى قد انعم على الشيخ وانعم به نعمة باطنة وظاهرة في الدين والدنيا، وجعل له عند خاصة المسلمين الذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا منزلة علية، ومودة اليه لما منحه الله تعالى به من حسن المعرفة والقصد، فان العلم والارادة، اصل لطريق الهدى

والعبادة . وقد بعث الله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم باكمل محبة فى اكمل معرفة ، فاخرج بمحبة الله ورسوله التي هي أصل الاعمال ، المحبة التي فيها إشراك واجمال ، كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بامره)

ولهذا كانت المحبة الايمانية هي الموجبة للذوق الايماني والوجد الديني كما فى الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان فى قلبه ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لايحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم وجود حلاوة الايمان معلقا بمحبة الله ورسوله الفاضلة وبالمحبة فيه فى الله وبكراهة ضد الايمان

وفى صحيح مسلم عن العباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا » فجعل ذوق طعم الايمان معلقا بالرضى بهذه الاصول كما جعل الوجد معلقا بالمحبة ليفرق صلى الله تعالى عليه وسلم بين الذوق والوجد الذي هو اصل الاعمال الظاهرة وثمرة الاعمال الباطنة، وبين ما امر الله به ورسوله وبين غيره كما قال سهل بن عبدالله التستري: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، اذ كان كل من أحب شيئا فله ذوق بحسب محبته

ولهذا طالب الله تعالى مدعي محبته بقوله (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) قال الحسن البصري ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فطالبهم بهذه الآية فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله ، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده. وقد ذكر نعت المحبين في قوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين * يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال الذي نعت الله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال المفرّق في الملتين، قلنا(؟) وهو الشدة والعزة على اعداء الله . والذلة والرحمة لاولياء الله ورسوله ، ولهذا يوجد كثير ممن له وجد وحب مجمل مطلق كما قال فيه كبير من كبرائهم :

مشرد عن الوطن * مبعد عن السكن * يبكي الطلول والدمن *
يهوى ولا يدري لمن

فالشيخ أحسن الله اليه قد جعل فيه من النور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والارادة ما تتميز به المحبة الايمانية المحمدية المفصلة ، عن المجملة المشتركة ، وكما يقع هذا الاجمال في المحبة يقع ايضا في التوحيد، قال الله تعالى في ام الكتاب التي هي مفروضة على العبد وواجبة في كل صلاة أن يقول (إياك نعبد وإياك نستعين) وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله يقول « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي واذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله اثنى عليّ عبدي ، واذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي أو قال فوض الي عبدي ، واذا قال (إياك

نعبد واياك نستعين) قال فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ماسأل ، فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال فهؤلاء لعبدي ولعبدي ماسأل»

ولهذا روي أن الله أنزل مائة كتاب واربعة كتب جمع معانيها في القرآن ومعاني القرآن في المفصل ومعاني المفصل في ام الكتاب ومعاني ام الكتاب في هاتين الكلمتين (اياك نعبد واياك نستعين) وهذا المعنى قد ثناه الله في مثل قوله (فاعبده وتوكل عليه) وفى مثل قوله (عليه توكلت واليه انيب) وقوله (عليه توكلت واليه متاب) وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى نسكه « اللهم هذا منك واليك » . فهو سبحانه مستحق التوحيد الذى هو دعاؤه واخلاص الدين له دعاء العباد بالمحبة والانابة والطاعة والاجلال والاكرام والخشية والرجاء ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته ودعاء المسئلة والاستعانة بالتوكل عليه ، والالتجاء اليه ، والسؤال له ، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته ، وهو سبحانه الاول والآخر والباطن والظاهر

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة فى العبادة باسم الله وفى السؤال باسم الرب فيقول المصلي والذاكر الله اكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا اله الا الله ، وكلمات الاذان : الله اكبر الله اكبر الى آخرها ونحو ذلك

وفى السؤال (ربنا ظلمنا انفسنا * رب اغفر لي ولوالديّ * رب بما انعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين * رب ظلمت نفسي فاغفر لي * (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت أقدامنا * رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين) ونحو ذلك. وكثير من المتوجهين السالكين يشهد

في سلوكه الربوبيـة والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق من الاعيان والصفات ، وهذه الامور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستعيذ بها فيقول « أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ماينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ماذرأ في الارض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمن » فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الرباني عما هو مأمور به أيضا ومطلوبه وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد الالهي الذي هو عبادته وحده لاشريك له ، وطاعتـه وطاعة رسوله ، والامر بما أمر به ، والنهي عما نهى عنه ، والحب فيه ، والبغض فيه ؛ ومن اعرض عن هذا التوحيد وأخذ بالاول فهو يشبه القدرية المشركية الذين قالوا (لوشاءالله ما اشركنا ولا آباؤنا) ومن أخذ بالثاني دون الاول فهو من القدرية المجوسية الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد ولا شاء جميع الكائنات كما تقول المعتزلة والرافضة ويقع فى (كلام) كثير من المتكلمة والمتفقهة. والاول ذهب اليه طوائف من الاباحية المنحلّين عن الاوامر والنواهي، وانما يستعملون ذلك عند اهوائهم والا فهو لا يستمر، وهو كثير في المتألهة الخارجين عن الشريعة خفو العدو (؟) وغيرهم فان لهم زهادات وعبادات فيها ما هو غير مأمور به فيفيدهم أحوالا فيها ما هو فاسد يشبهون من بعض الوجوه الرهبان وعباد البدود (١)

(١) الظاهر أن البدود جمع بد بالضم وذكروا أن جمعه بددة وابداد وبوت بالفارسية الصنم

ولهذا قال الشيخ عبدالقادر قدس الله روحه: كثير من الرجال اذا دخلوا الى القضاء والقدر امسكوا وأنا انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والولي من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا له. وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان المحمدية(١) أي ان المسلم مأمور أن يفعل ما امر الله به، ويدفع مانهى الله عنه، وان كانت اسبابه قد قدرت، فيدفع قدر الله بقدر الله كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «ان الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والارض» وفي الترمذي قيل يارسول الله؟ أرأيت ادوية نتداوى بها، ورُقًى نسترقي بها وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال «هن من قدر الله» (٢) والى هذين المعنيين أشار الحديث الذي رواه الطبراني أيضا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال: «يقول الله ياابن آدم انما هي اربع: واحدة لي، وواحدة لك: وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين خلقي؟ فاما التي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئا، وأما التي لك فعملك اجزيك به احوج ماتكون اليه، وأما التي هي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليّ الاجابة، وأما التي بينك وبين خلقي فأت الى الناس بما تحب أن يؤتوه اليك»

ثم ان التوحيد الجامع لتوحيد الالوهية والربوبية أو توحيد أحدهما للعبد فيه ثلاث مقامات (أحدها) مقام الفرق والكثرة بانعامه(؟) من كثرة المخلوقات والمأمورات (والثاني) مقام الجمع والفناء بحيث يغيب بشهوده

(١) كذا ولعل اصله الشريعة المحمدية

(٢) ومنه أثر عمر في الطاعون: نفر من قدر الله الى قدر الله

عن شهوده، وبمعبوده عن عبادته، وبموحده عن توحيده، وبمذكوره عن ذكره، وبمحبوبه عن حبه. فهذا فناء عن ادراك السوى وهو فناء القاصرين

وأما الفناء الكامل المحمدي فهو الفناء عن عبادة السوى والاستعانة بالسوى وارادة وجه السوى، وهذا في الدرجة الثالثة وهو شهود التفرقة في الجمع، والكثرة في الوحدة، فيشهد قيام الكائنات مع تفرقها باقامة لله تعالى وحده وربوبيته، ويرى انه مامن دابة إلا ربي آخذ بناصيتها، وانه على كل شيء وكيل، وانه رب العالمين، وان قلوب العباد ونواصيهم بيده، لا خالق غيره ولا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع ولا حافظ ولا معزّ ولا مذل سواه. ويشهد ايضا فعل المأمورات مع كثرتها وترك الشبهات (١) مع كثرتها لله وحده لا شريك له

وهذا هو الدين الجامع العام الذى اشترك فيه جميع الانبياء والاسلام العام والايمان العام، وبه انزلت السور المكية واليه الاشارة بقوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وبقوله (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا: أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وبقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ولهذا ترجم البخارى عليه «باب ماجاء أن دين الانبياء واحد»

وقد قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فجمع في الملل الاربع (من آمن بالله واليوم

«١» لعلها المشتبهات فانها أعم

الآخر وعمل صالحا) وذلك قبل النسخ والتبديل وخص في أول الآية المؤمنين وهو الايمان الخاص الشرعي الذى قال فيه (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) والشرعة هي الشريعة ، والمنهاج هو الطريقة ، والدين الجامع هو الحقيقة الدينية، وتوحيد الربوبية، هو الحقيقة الكونية، فالحقيقة المقصودة الدينية الموجودة الكونية متفق عليها بين الانبياء والمرسلين

فاما الشرعة والمنهاج الاسلاميان فهو لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (خير امة اخرجت للناس) وبها انزلت السور المدنية اذ في المدينة النبوية شرعت الشرائع وسنت السنن ونزلت الاحكام والفرائض والحدود

فهذا التوحيد هو الذى جاءت به الرسل ونزلت به الكتب واليه تشير مشايخ الطريقة وعلماء الدين، لكن بعض ذوي الاحوال قد يحصل له في حال الفناء القاصر سكر وغيبة عن السوى ، والسكر وجد بلا تمييز فقد يقول في تلك الحال: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله ، أو نحو ذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي أو غيره من الاصحاء. وكلمات السكران تطوي ولا تروى ولا تؤدى اذا لم يكن سكره بسبب محظور من عبادة أو وجه منهي عنه

فاما اذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً ، لا فرق في ذلك بين السكر الجسماني والروحاني فسكر الاجسام بالطعام والشراب ، وسكر النفوس بالصور، وسكر الارواح بالاصوات. وفي مثل هذا الحال غلط من غلط بدعوى الاتحاد والحلول العيني في مثل دعوى النصارى في المسيح ، ودعوى الغالية في علي واهل البيت، ودعوى قوم من الجهال

الغالية في مثل الحلاج أو الحاكم بمصر أو غيرهما ، وربما اشتبه عليهم الاتحاد النوعي الحكمي بالاتحاد العيني الذاتي

فالاول كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « يقول الله: عبدي! مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وانت رب العالمين؟ فيقول أما علمت انه مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده. عبدي! جعت فلم تطعمني، فيقول ربي كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟ فيقول أما علمت أن عبدى فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي » ففسر ماتكلم به في هذا الحديث أن جوع عبده ومحبوبه لقوله « لوجدت ذلك عندي » ولم يقل لوجدتني قد أكلته ولقوله « لوجدتني عنده » ولم يقل لوجدتني إياه وذلك لان المحب يتفق هو ومحبوبه بحيث يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر ويأمر بما يأمر به ويبغض ما يبغضه ويكره ما يكرهه وينهى عما ينهى عنه

وهؤلاء هم الذين يرضى الحق لرضاهم ويغضب لغضبهم ، والكامل المطلق في هؤلاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا قال تعالى فيه (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقال (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وقد جاء في الانجيل الذى بايدي النصارى كلمات مجملة ان صح أن المسيح قالها فهذا معناها كقوله «أنا وأبي واحد. من رآني فقد رأى أبي» ونحو ذلك وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا المتشابه كما ذكر الله عنهم في القرآن لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناظروه في المسيح

وقد جاء في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن أبي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ماافترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي » فاخبر فى هذا الحديث أن الحق سبحانه اذا تقرب اليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه

وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وان قرب الفرائض أن يكون هو إياه فان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل. فهذه المعاني وما يشبهها هي اصول مذهب أهل الطريقة الاسلامية اتباع الانبياء والمرسلين

وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية وكنت قد كتبت الى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن اشرت فيه اشارة لطيفة الى حال هؤلاء ولم يكن القصد به والله واحداً بعينه وانما الشيخ هو مجمع المؤمنين فعلينا أن نعينه فى الدين والدنيا بما هو اللائق به وأما هؤلاء الاتحادية فقد ارسل الى الداعي من طلب كشف حقيقة امرهم

وقد كتبت فى ذلك كتابا ربما يرسل الى الشيخ وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل والله تعالى يعلم وكفى به عليما لولا اني أرى دفع ضرر هؤلاء عن أهل طريق الله تعالى السالكين اليه من اعظم الواجبات -وهو شبيه بدفع التتار عن المؤمنين- لم يكن للمؤمنين بالله ورسوله حاجة ألى أن نكشف أسرار الطريق وتهتك استارها ،ولكن

الشيخ احسن الله تعالى اليه يعلم أن مقصود الدعوة النبوية بل المقصود بخلق الخلق وانزال الكتب وارسال الرسل أن يكون الدين كله لله هو دعوة الخلائق الى خالقهم بما قال تعالى (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا * وداعياً الى الله باذنه وسراجا منيراً) وقال سبحانه (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال تعالى (وإنك لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له مافي السموات وما في الارض ، ألا الى الله تصير الامور) . وهؤلاء موهوا على السالكين التوحيد الذي انزل الله تعالى به الكتب ، وبعث به الرسل بالاتحاد الذي سموه توحيداً وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق . وانما كنت قديما ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد مثل كلامه في كثير من الفتوحات والكنة والمحكم المربوط والدرة الفاخرة ومطالع النجوم ونحو ذلك ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده ولم نطالع الفصوص ونحوه وكنا نجتمع مع اخواننا في الله نطلب الحق ونتبعه ونكشف حقيقة الطريق فلما تبين الامر عرفنا نحن مايجب علينا فلما قدم من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الاسلامية والدين الاسلامي وحقيقة حال هؤلاء وجب البيان ، وكذلك كتب الينا من اطراف الشام رجال سالكون أهل صدق وطلب أن اذكر النكت الجامعة لحقيقة مقصودهم والشيخ أيده الله تعالى بنور قلبه وذكاء نفسه وحق قصده من نصحه للاسلام واهله ولاخوانه السالكين يفعل في ذلك ما يرجو به رضوان الله سبحانه ومغفرته في الدنيا والآخرة

هؤلاء الذين تكلموا في هذا الامر لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت

دولة التتار وإلا فكان الاتحاد القديم هو الاتحاد المعين وذلك أن القسمة رباعية فان كل واحد من الاتحاد والحلول اما معين في شخص واما مطلق، أما الاتحاد والحلول المعين كقول النصارى والغالية في الائمة من الرافضة وفي المشايخ من جهال الفقراء والصوفية فانهم يقولون به في معنى اما بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن وهو قول اليعقوبية وهم السودان ومن الحبشة والقبط ، واما بالحلول وهو قول النسطورية، واما بالاتحاد من وجه دون وجه وهو قول الملكانية

(وأما الحلول المطلق) وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء فهذا تحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية وكانوا يكفرونهم بذلك

وأما ماجاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم اليه الا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وان وجود ذات الله خالق السموات والارض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا انه رب العالمين ولا انه غني وما سواه فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق واكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة امرهم لانه أمر مبهم

(الاول) أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ذاتها أبدية أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك . ويقولون إن الله سبحانه لم يعط أحداً شيئا ولا

أغنى أحدا ولا أسعده ولا أشقاه وإنما وجوده فاض على الذوات فلاتحمد الا نفسك ولا تذم إلا نفسك، ويقولون ان هذا هو سر القدر وان الله تعالى انما علم الاشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم خارجا عن نفسه المقدسة ،ويقولون ان الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم، وانهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم وعلم الله تعالى من معدن واحد، وانهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه لانهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحي به الرسل، ويقولون انهم لم يعبدوا غير الله ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى، وان عباد الاصنام ما عبدوا الا الله سبحانه، وان قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) معنى حكم لا معنى أمر فما عبد غير الله في كل معبود فان الله تعالى ماقضى بشيء الا وقع، ويقولون ان الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو فانه ماعدم من البداية، فيدعى الى الغاية، وان قوم نوح قالوا (لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن وَدّا ولا سُواعا) لانهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ماتركوا منهم، لان للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه وينكره من أنكره، وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد، فان الجاهل يقول هذا حجر وشجر، والعارف يقول هذا محل الهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر، فان النصارى انما كفروا لانهم خصصوا، وإن عباد الاصنام ماأخطأوا الا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر، والعارف يعبد كل شيء، والله يعبد أيضا كل شيء لان الاشياء غذاؤه بالاسماء والاحكام وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير اليها وهي فقيرة اليه،

وهو خليل كل شيء بهذا المعنى، ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة واضافة بين الوجود والثبوت وليست اموراً عدمية، ويقولون «من أسمائه الحسنى العلي عن ماذا وما ثم الا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات وهي العلية لذاتها وليست الاهو، ومانكح سوى نفسه، وما ذبح سوى نفسه . والمتكلم هوعين المستمع» وان موسى انما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه ، وان موسى كان أوسع في العلم فعلم انهم لم يعبدوا الا الله، وان أعلى ماعبد الهوى ، وان كل من اتخذ الهه هواه فماعبد الا الله. وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين وقد صدقه السحرة فى قوله أنا ربكم الاعلى ، وفي قوله ما علمت لكم من اله غيري ،

وكنت اخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين وأقول إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع حتى حدثني بعض عن كثير من كبرائهم انهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون(١) وهذه المعاني كلها هي قول صاحب الفصوص والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات ، الاحياء منهم والاموات (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)

والمقصود أن حقيقة ماتضمنه كتاب الفصوص المضاف الى النبي

---

(١) كذا في الاصل ويراجع في رسالة ابطال وحدة الوجود (ص١١٧) من مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام

صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاء به وهو ما اذا فهم المسلم بالاضطرار(١) أن جميع الانبياء والمرسلين وجميع الاولياء والصالحين بل جميع عوام أهل الملل من اليهود والنصاري والصابئين يبرؤن الى الله تعالي من بعض هذا القول فكيف منه كله . ونعلم أن المشركين عباد الاوثان والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخالق الباري المصور — الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور — ربهم ورب آبائهم الاولين — رب المشرق والمغرب . ولا يقول أحد منهم انه عين المخلوقات، ولا نفس المصنوعات، كما يقوله هؤلاء، حتى انهم يقولون لو زالت السموات والارض زالت حقيقة الله . وهذا مركب من أصلين

(أحدهما) أن المعدوم شيء ثابت في العدم كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والاجماع وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر كفر من يقول بهذا وانما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالاشياء قبل كونها وانها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها فيفرقون بين الوجود العلمي وبين الوجود العيني الخارجي

ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة

---

(١) كذا في الاصل وفيه ما ترى والمعنى ان ما في كتاب الفصوص من أمثال ما ذكر يفهم كل مسلم أنه مخالف لدين الله على ألسنة جميع رسله وانه مما يتبرأ منه عوام جميع الملل

(اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم) فذكر المراتب الاربع وهي الوجود العيني الذى خلقه ، والوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه . ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم، فانه مستلزم للمراتب الثلاثة وهذا القول- اعني قول من يقول: إن المعدوم شيء ثابت في نفسه خارج عن علم الله تعالى- وان كان باطلا ودلالته واضحة لكنه قد ابتدع في الاسلام من نحو اربعمائة سنة . وابن العربي وافق أصحابه وهو أحد أصلي مذهبه الذي في الفصوص

(والاصل الثاني) أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه . وهذا هو الذى ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن العربي أقربهم الى الاسلام وأحسن كلاما فى مواضع كثيرة ، فانه يفرق بين الظاهر والمظاهر فيقر الامر والنهي والشرائع على ما هي عليه ، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الاخلاق والعبادات ، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكهم فينتفعون بذلك وان كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله

(وأما) صاحبه الصدر الرومي فانه كان متفلسفا فهو أبعد عن الشريعة والاسلام، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول كان شيخي القديم متروحنا متفلسفا والآخر فيلسوفا متروحنا- يعني الصدر الرومي - فانه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربي فى كتاب مفتاح غيب الجمع

والوجود(١) وغيره يقول إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين والجسم المطلق والجسم المعين. والمطلق لا يوجد الا في الخارج مطلقا لا يوجد المطلق الا في الاعيان الخارجة. فحقيقة قوله انه ليس لله سبحانه وجود أصلا ولا حقيقة ولا ثبوت الا نفس الوجود القائم بالمخلوقات. ولهذا يقول هو وشيخه ان الله تعالى لا يرى أصلا، وانه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده — تعالى الله عما يقولون

(وأما) الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر فانه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه. وان العبد انما يشهد السوى ما دام محجوبا فاذا انكشف حجابه رأى انه ما ثم غير يبين له الامر. ولهذا كان يستحل جميع المحرمات حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول البنت والام والاجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا وانما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم. وكان يقول القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وانما التوحيد في كلامنا. وكان يقول أنا ما أمسك شريعة واحدة، واذا أحسن القول يقول القرآن يوصل الى الجنة، وكلامنا يوصل الى الله تعالى. وشرح الاسماء الحسنى على هذا الاصل الذي له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء وشعره في صناعة الشعر جيد ولكنه

---

(١) قوله : في كتاب الخ القطع غير متجه وكتاب مفتاح غيب الجمع والوجود لصدر الدين الرومي القونوي هذا مراد شيخ الاسلام نقل مشاهد من كتابه هذا على ضلالته

كما قيل (لحم خنزير في طبق صيني) وصنف للنصيرية عقيدة. وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه

(وأما) ابن سبعين فانه في البدو والاحاطة يقول أيضا بوحدة الوجود وانه ماثم غير، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك لكن لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمساني أو قول الرومي أو قول ابن العربي وهو الى كلام التلمسانى أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ماكفره أحد قط مثل التلمساني وآخر يقال له البلباني من مشايخ شيراز ومن شعره

وفي كل شيء له آية ... تدل على انه عينه

وأيضا :

وما أنت غير الكون بل انت عينه ... ويفهم هذا السر من هو ذائقه

وأيضا :

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي ... لاني فى التحقيق لست سواكم

وأيضا :

ما بال عيسك لا يقر قرارها ... وإلام ظلك لايني متنقلا

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن ... إلا اليك اذا بلغت المنزلا

وايضا :

ماالامر الا نسق واحد ... مافيه من حمد ولاذم

وانما العادة قد خصصت ... والطبع والشارع فى الحكم

وأيضا :

ياعاذلي أنت تنهاني وتأمرني ... والوجد أصدق نهاء وأمّار

فان أطعك وأعص الوجد عدت عمي ... عن العيان الى أوهام أخبار

فمين ماأنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهيّ ياجارى

وأيضا :

وما البحر الا الموج لاشيء غيره وان فرقته كثرة المتعدد

الى امثال هذه الاشعار، وفى النثر مالا يحصى، ويوهمون الجهال أنهم مشايخ الاسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق فى الامة مثل سعيد بن المسيب والحسن البصرى وعمر بن عبدالعزيز ومالك ابن أنس والاوزاعي وابراهيم بن ادهم وسفيان الثورى والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي والشافعي وابي سليمان واحمد بن حنبل وبشر الحافي وعبد الله بن المبارك وشقيق البلخي ومن لا يحصى كثرة ـ الى مثل المتأخرين مثل الجنيد بن محمد القواريرى وسهل بن عبدالله التستري وعمر بن عثمان المكي ومن بعدهم ـ الى أبي طالب المكي الى مثل الشيخ عبدالقادر الكيلاني والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ أبي مدين والشيخ عقيل والشيخ أبي الوفاء والشيخ رسلان والشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الله اليونيني والشيخ القرشي وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الاولين والآخرين .

كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم ولان الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءاً من خلقه ولا صفة لخلقه بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك جاءت الكتب الاربعة الالهية من التوراة والانجيل والزبور والقرآن وعليه فطر الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت العقول

وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار

واندراس شريعة الاسلام وان هؤلاء مقدمة الدجال الاعور الكذاب الذى يزعم أنه هو الله فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ولكن بعض الاشياء أكبر من بعض وأعظم. واما على رأي صاحب الفصوص فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لعظم ذاته الثابتة في العدم. وأما على رأى الرومي فان بعض المتعينات يكون أكبر، فان بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض. وأما على البقية فالكل اجزاء منه، وبعض الجزء اكبر من بعض. فالدجال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين واكبر من الرسل بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فموسى قاتل فرعون الذى يدعي الربوبية، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى الذى قيل فيه انه الله تعالى وهو بريء من ذلك على مسيح الضلالة الذي قال انه الله

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «انه أعور (١)» وكونه قال «واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت» وابن الخطيب انكر أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لان ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية وتدبرنا ماوقعت فيه النصارى والحلولية ظهر سبب دلالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لامته بهذه العلامة فانه بعث رحمة للعالمين فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور

---

(١) تتمة الحديث « وان الله ليس بأعور » رواه الشيخان من حديث ابن عمر وهذا لفظ البخاري وهذه الجملة هي محل التعجب الذي حمل ابن الخطيب وهو الفخر الرازي على انكار الحديث

الرب في البشر أو يقول انه هو البشر كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلا على انتفاء الالهية عنه

وقد خاطبني قديما شخص من خيار أصحابنا كان يميل الى الاتحاد ثم تاب منه وذكر هذا الحديث فبينت له وجهه وجاء الينا شخص كان يقول انه خاتم الاولياء فزعم أن الحلاج لما قال أنا الحق كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه كما يتكلم الجني على لسان المصروع وان الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان من هذا الباب . فبينت له فساد هذا وانه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران وكان من خاطبه هؤلاء أعظم من موسى لان موسى سمع الكلام الالهي من الشجرة وهؤلاء يسمعون من الجن الناطق. وهذا يقوله قوم من الاتحادية لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذى يذهب اليه الفاجر التلمساني وذووه وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصارى والغالية

وقد كان سلف الامة وسادات الائمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما وانما كانوا يلوحون تلويحا وقل ان كانوا يصرحون بأن ذاته في مكان

وأما هؤلاء الاتحادية فهم أخبث واكفر من اولئك الجهمية ولكن السلف والائمة أعلم بالاسلام وبحقائقه فان كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى فلما اطلع السلف على سر القول نفروا منه، وهذا كما قال بعض الناس: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاء ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء. وذلك لان متكلمهم ليس في قلبه

تأله ولا تعبد فهو يصف ربه بصفات العدم والموات

وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد والقلب لا يقصد الا موجوداً لا معدوما فيحتاج أن يعبد المخلوقات إما الوجود المطلق واما بعض المظاهر كالشمس والقمر، البشر والاوثان وغير ذلك، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم، وهم لا يوحدون الله سبحانه وتعالى وانما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات، فهم بربهم يعدلون. ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى الهند وقال ان ارض الاسلام لا تسعه، لان الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان

وهذا حقيقة قول الاتحادية واعرف ناسا لهم اشتغال بالفلسفة والكلام وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا ليس بكذا ليس بكذا ووصفوه بأنه ليس هو رب المخلوقات كما يقوله المسلمون، لكن يجحدون صفات الخالق التي جاءت بها الرسل عليهم السلام واذا صار لاحدهم ذوق ووجد تأله وسلك طريق الاتحادية وقال انه هو الموجودات كلها فاذا قيل له اين ذاك النفي من هذا الاثبات ؟ قال : ذاك جدى ،وهذا ذوقي فيقال لهذا الضال كل ذوق ووجد لا يطابق لاعتقاد فأحدهما أو كلاهما باطل وانما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات فان علم القلب وحاله متلازمان فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال .ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين امروا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، واتبعوا طريق السابقين الاولين، لسلكوا طريق الهدى ووجدوا برد اليقين وقرة العين فان الامر كما قال بعض الناس ان الرسل

جاؤا باثبات مفصل ونفي مجمل، والصابئة المعطلة جاؤ بنفي مفصل واثبات مجمل، فالقرآن مملوء من قوله تعالى في الاثبات(إن الله بكل شيء عليم * وعلى كل شيء قدير * وانه سميع بصير *وسع كل شيء رحمة وعلما)وفي النفي (ليس كمثله شيء *ولم يكن له كفواً احد *هل تعلم له سميا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين)

وهذا الكتاب مع انى قد اطلت فيه الكلام على الشيخ ايده الله تعالى بالاسلام ونفع المسلمين ببركة انفاسه وحسن مقاصده ونور قلبه فان مافيه نكت مختصرة ، فلا يمكن شرح هذه الاشياء في كتاب،ولكن ذكرت للشيخ احسن الله تعالى اليه ما اقتضى الحال ان اذكره ـ وحامل الكتاب مستوفز عجلان ، وانا اسأل الله العظيم ان يصلح امر المسلمين

عامتهم وخاصتهم ، ويهديهم الى ما يقربهم ، وأن يجعل
الشيخ من دعاة الخير الذين قال الله سبحانه
فيهم (ولتكن منكم امة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر
واولئك هم
المفلحون)
انتهى

مسالة

صفات الله تعالى وعلوه على خلقه

بين النفي والاثبات

جواب سؤال

رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين

أحمد بن تيمية

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خيراً

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(السؤال) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين، في رجلين تباحثا في مسألة الاثبات للصفات والجزم باثبات العلو، فقال أحدهما لا يجب على أحد معرفة هذا، ولا البحث عنه، ويعتقد أن الله واحد في ملكه، وهو رب كل شيء وخالقه ومليكه. ومن تكلم في شيء من هذا فهو مجسم حشوي. فهل هذا القائل لهذا الكلام مصيب أم مخطيء؟ فاذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا اثبات الصفات والعلو ويعرفوه؟ وما معنى التجسيم والحشو؟ افتونا وابسطوا القول في هذا مأجورين ان شاء الله تعالى

الجواب

الحمد لله رب العالمين. يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فما جاء به القرآن أو السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة، وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر

به عن الله ، فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة ، اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه ، وقد قال الله تعالى (ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل • لأخذنا منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين)

وفي الجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لايحتاج الى تقريره هنا وهو الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ماجاء به من القرآن والسنة كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال تعالى وما (ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) وقال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول)

ومما جاء به الرسول رضاه عن السابقين الاولين ، وعن من اتبعهم باحسان الى يوم الدين ، كما قال (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)

ومما جاء به الرسول اخباره بأنه تعالى قد اكمل الدين بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) . ومما جاء به الرسول امر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وقال

تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)

ومعلوم انه قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتم منها شيئا، فان كتمان ما انزله الله اليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم فى دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها.. والامة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله، وبين ما انزل اليه من ربه ، وقد اخبر الله بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم انه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » وقال « ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ، وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به » وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما

اذا تبين هذا فقد صح ووجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفى السنة الثابتة عنه كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي لقد حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان وغيره انهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل

جميعا ، وقد قام عبد الله بن عمر وهو من أصاغر الصحابة فى تعلم البقرة ثماني سنين وانما ذلك لاجل الفهم والمعرفة وهذا معلوم من وجوه

(أحدها) أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظا ومعنى ، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى اوكد ، فانه قد علم أنه من قرأ كتابا في الطب او الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك فانه لابد أن يكون راغبا في فهمه وتصور معانيه ، فكيف من قرأ كتاب الله تعالى المنزل اليهم الذي به هداهم الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والغي ؟

فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه اعظم الرغبات بل اذا سمع المتعلم من العالم حديثا فانه يرغب في فهمه فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه . بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعرفهم معاني القرآن اعظم من رغبته في تعرفهم حروفه ، فان معرفة الحروف بدون المعاني لاتحصل المقصود اذا اللفظ انما يراد للمعنى

(الوجه الثاني) أن الله سبحانه وتعالى قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه فى غير موضع كما قال تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) وقال تعالى (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فاذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين على تدبره (١) وعلم أن معانيه مما يمكن فهمها ومعرفتها

(١) كذا ولعل اصله مما يمكنهم تدبره

فكيف لا يكون ذلك للمؤمنين، وهذا يتبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم

(الوجه الثالث) أنه قال تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فبين انه انزله عربيا لان يعقلوا ، والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه

(الوجه الرابع) انه ذم من لا يفقهه فقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرا) وقال تعالى (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به

(الوجه الخامس) انه ذم من لم يكن حظه من السماع الا سماع الصوت دون فهم المعني واتباعه فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال تعالى (أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟ اؤلئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) وأمثال ذلك . وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفهموا وقالوا ماذا قال آنفا ؟ أي الساعة ، وهذا كلام من لم يفقه قال تعالى (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) فمن جعل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى عليه

(الوجه السادس) أن الصحابة رضي الله عنهم قرؤا للتابعين القرآن كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى اخره أقف عند كل آية منه واسأله عنها. ولهذا قال سفيان الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وكان ابن مسعود وابن عباس نقلوا عنه (١) من التفسير مالا يحصيه الا الله. والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها

أسباب الاختلاف في التفسير المأثور

فان قال قائل قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيراً ولو كان ذلك معلوما عندهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيقال الاختلاف الثابت عن الصحابة بل وعن أئمة التابعين في القران اكثره لايخرج عن وجوه

(أحدها) أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه فالمسمى واحد وكل اسم يدل على معنى لايدل عليه الاسم الاخر مع أن كلاهما حق بمنزلة تسمية الله تعالى باسمائه الحسنى وتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم باسمائه وتسمية القران العزيز باسمائه فقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ماتدعوا فله الاسماء الحسنى) فاذا قيل الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى وان كل اسم يدل على نعت لله لايدل عليه الاسم الاخر ومثال هذا من التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم، فهذا يقول هو الاسلام

(١) ينظر مرجع الضمير في قوله «عنه» فهذان الصحابيان قد أخذا عن النبي صلى الله عليه وسلم (ص) ولاذكر له قبله ولعل فيه حذفا يدل عليه كالتصلية بعد عنه

وهذا يقول هو القران أي اتباع القران ، وهذا يقول السنة والجماعة وهذا يقول طريق العبودية ، وهذا يقول طاعة الله ورسوله. ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها ويسمى بهذه الاسماء كلها ، ولكن كل واحد منهم دل المخاطب على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت.

(الوجه الثاني) أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض انواعه أو اعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب لا على الحصر والاحاطة كما لو سأل اعجمي عن معنى لفظ الخبز فأري رغيفا وقيل هذا هو فذاك مثال للخبز واشارة الى جنسه لا الى ذلك الرغيف خاصة . ومن هذا ماجاء عنهم في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فالقول الجامع أن الظالم لنفسه : المفرط بترك مأمور أو فعل محظور ، والمقتصد : (القائم) بأداء الواجبات وترك المحرمات ، والسابق بالخيرات بمنزلة المقرب الذي يتقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق

ثم ان كلا منهم يذكر نوعا من هذا (فان قال قائل) الظالم المؤخر للصلاة عن وقتها ، والمقتصد المصلي لها في وقتها ، والسابق المصلي لها في أول وقتها حيث يكون التقديم افضل ، وقال آخر الظالم لنفسه هو البخيل الذى لا يصل رحمه ولا تمام (١) زكاته ، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والاعطاء في النائبة ، والسابق الفاعل المستحب بعد الواجب كما فعل الصديق الاكبر حين جاء بماله كله ، ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئا وقال اخر الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لا عن

(١) كذا الاصل ولعله ولا يؤدي تمام زكاته

الآثام، والمقتصد الذي يصوم عن الطعام والآثام، والسابق الذي يصوم عن كل مالا يقربه الى الله تعالى ـ وامثال ذلك ـ لم تكن الاقوال (١) متنافية بل كل ذكر نوعا مما تناولته الاية

(الوجه الثالث) أن يذكر أحدهم لنزول الاية سببا ويذكر الاخر سببا اخر لاينافي الاول، ومن الممكن نزولها لاجل السببين جميعا أو نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا . وأما ماصح عن السلف انهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض، فهذا قليل بالنسبة الى مالم يختلفوا فيه كما ان تنازعهم في بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج والفرائض والطلاق ونحو ذلك لايمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وجلها منقولة عنه بالتواتر

وقد تبين أن الله تعالى انزل عليه الكتاب والحكمة، وامر أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكرن مايتلى في بيوتكهن من ايات الله والحكمة . وقد قال غير واحد من السلف أن الحكمة هي السنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « ألا إني اوتيت الكتاب ومثله معه » فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه سواء قيل انه من القران ولم نفهمه نحن، أو قيل ليس في القران، كما أن ما اتفق عليه السابقون الاولون والذين اتبعوهم باحسان فعلينا أن نتبعهم فيه سواء قيل انه كان منصوصا في السنة ولم يبلغنا ذلك أو قيل انه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة

(انتهت المقدمة)

«١» جواب فان قال قائل .

فصل

فاذا تبين ذلك فوجوب اثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه :—

(أحدها) أن يقال إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتابعين بل وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه اثبات العلو لله على عرشه بانواع من الدلالات ، ووجوه من الصفات ، واصناف من العبارات ، تارة يخبر انه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش . وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع ، وتارة يخبر بعروج الاشياء وصعودها وارتفاعها اليه كقوله تعالى (بل رفعه الله اليه * إني متوفيك ورافعك إلي * تعرج الملائكة والروح اليه) وقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده كقوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق * قل نزله روح القدس من ربك بالحق * حم، تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم * حم، تنزيل من الله العزيز الحكيم) وتارة يخبر بأنه الاعلى والعلي كقوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) وقوله (وهو العلي العظيم)

وتارة يخبر بأنه في السماء كقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض ؟ أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) فذكر السماء دون الارض ولم يعلق بذلك ألوهيــة أو غيرها كما ذكر في قوله تعالى (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) وقال تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا

تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ » وقال للجارية « اين الله ؟ قالت في السماء » قال « اعتقها فانها مؤمنة »

وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) فلو كان موجب العناية معنى عاما كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده ، ولم يكن أحد مستكبراً عن عبادته ، بل مسبحا له ساجداً وقد قال تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك رداً على الكفار والمستكبرين عن عبادته، وامثال هذا في القرآن لا يحصى الا بكلفة، وأما الاحاديث والا ثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها الا الله تعالى

فلا يخلو اما أن يكون مااشتركت فيه هذه النصوص من اثبات علو الله نفسه وعلى خلقه هو الحق أو الحق نقيضه اذ الحق لا يخرج عن النقيضين واما أن يكون نفسه فوق الخلق أو لا يكون فوق الخلق كما تقول الجهمية، ثم تارة يقولون لا فوقهم ولا فيهم ، ولا داخل ، ولا خارج ، ولا مباين ، ولا محايث ، وتارة يقولون هو بذاته في كل مكان ،وفي المقالتين كلتيهما يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه

فاما أن يكون الحق اثبات ذلك أو نفيه ، فان كان نفي ذلك هو الحق، فمعلوم أن القرآن لم يبين هذا قط لا نصا ولا ظاهرا ، ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، لا ائمة المذاهب الاربعة ولا غيرهم ، ولا يمكن أحداً أن ينقل عن واحد من هؤلاء انه نفى ذلك أو اخبر به : وأما مانقل من الاثبات عن هؤلاء فاكثر من أن يحصي أو يحصر،

فان كان الحق النفي دون الاثبات - والكتاب والسنة والاجماع انما دل على الاثبات ولم يذكر النفي اصلا - لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق فى هذا الباب ، بل نطقوا بما يدل اما نصا واما ظاهرا على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب

ومعلوم أن من اعتقد هذا فى الرسول والمؤمنين فله اوفر حظ من قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولىّ ونصله جهنم وساءت مصيرا)

فان القائل اذا قال هذه النصوص اريد بها خلاف ما يفهم منها ، أو خلاف مادلت عليه، أو انه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه ، وانما اريد بها علو المكانة ونحو ذلك كما قد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضع، فيقال له فكان يجب أن يبين للناس الحق الذي يجب التصديق (به) باطنا وظاهرا بل ويبين لهم مايدلهم على أن هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه ، فان غاية مايقدر انه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة ، والباطن المخالف للظاهر، ومعلوم باتفاق العقلاء ان المخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه مايدل على ارادة المعنى المجازي ، فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذي بين للناس مانزل اليهم يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه، كان عليه أن يقرن بخطابه مايصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد لاسيما اذا كان باطلا لايجوز اعتقاده فى الله ، فان عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا فى الله مالا يجوز اعتقاده اذا كان ذلك مخوفا عليهم ، ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك ، فكيف اذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي تقول النفاة هو اعتقاد باطل ؟ فاذا لم يكن فى الكتاب ولا السنة ولا

كلام أحد من السلف والائمة مايوافق قول النفاة اصلا ، بل هم دائما لايتكلمون الا بالاثبات ، امتنع حينئذ أن لا يكون مرادهم الاثبات ، وان يكون النفي هو الذي يعتقدونه ويعتمدونه ، وهم لم يتكلموا به قط ولم يظهروه ، وانما اظهروا مايخالفه وينافيه ، وهذا كلام مبين لامخلص لاحد عنه لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام

***

مذاهب متفلسفة القرامطة في الصفات

أما المتفلسفة القرامطة فيقولون ان الرسل كلموا الخلق بخلاف ماهو الحق وأظهروا لهم خلاف مايبطنون ، وربما يقولون انهم كذبوا لاجل مصلحة العامة فان مصلحة العامة لاتقوم إلا باظهار الاثبات، وان كان في نفس الامر باطلا . وهذا مع مافيه من الزندقة البينة والكفر الواضح قول متناقض في نفسه ، فانه يقال لو كان الامر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم ،لكان خواص الرسل يطلعون على ذلك ، ولكانوا يطلعون خواصهم على هذا الامر ، فكان يكون النفي مذهب خاصة الامة واكملها عقلا وعلما ومعرفة ، والامر بالعكس ،فان من تأمل كلام السلف والائمة وجد أعلم الامة عند الامة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وابي بن كعب وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبدالله ابن عمرو وأمثالهم هم أعظم الخلق اثباتا . وكذلك أفضل التابعين مثل سعيد بن المسيب وامثاله والحسن البصري وامثاله وعلي بن الحسين وامثاله وأصحاب ابن مسعود واصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين . بل النقول

عن هؤلاء في الاثبات يجبن عن اظهاره كثير من الناس ،وعلى ذلك تأول يحيي بن عمار وصاحبه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصاري مايروى أن من العلم كهيئة المكنون لايعرفه إلا أهل العلم بالله ، فاذا ذكروه لم ينكره الا أهل الغرة بالله ، تأولوا ذلك على ماجاء من الاثبات ،لان ذلك ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسابقين والتابعين لهم باحسان ، بخلاف النفي فانه لا يؤخذ عنهم، ولا يمكن حمله عليه

وقد جمع علماء الحديث من النقول عن السلف في الاثبات مالا يحصي عدده الا رب السموات ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد الا أن يكون من الاحاديث المختلقة التي ينقلها من هو أبعد الناس عن معرفة كلامهم

ومن هؤلاء من يتمسك بمجملات سمعها، بعضها كذب وبعضها صدق ، مثل ماينقلونه عن عمر انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما، فهذا كذب باتفاق أهل العلم بالاثر، وبتقدير صدقه فهو مجمل ، فاذا قال أهل الاثبات كان ما يتكلمان فيه من هذا الباب لموافقته مانقل عنهما كان أولى من قول النفاة انهما يتكلمان بالنفي ،وكذلك حديث جراب أبي هريرة لما قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم — فان هذا حديث صحيح لكنه مجمل قد جاء مفسراً أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم والفتن، ولو قدر أن فيه مايتعلق بالصفات فليس فيه مايدل على النفي بل الثابت المحفوظ من أحاديث

أبي هريرة كحديث اتيانه يوم القيامة وحديث النزول والضحك وامثال ذلك كلها على الاثبات ،ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد في النفي من جنس قول النفاة

مذهب الجهمية في الصفات

وأما الجهمية المتكلمة فيقولون ان القرينة الصارفة لهم عما دل عليه الخطاب هو العقل ،فاكتفى بالدلالة العقلية الموافقة لمذهب النفاة ،فيقال لهم (أولا) فحينئذ اذا كان ماتكلم به انما يفيدهم مجرد الضلال وانما يستفيدون الهدى من عقولهم ،كان الرسول قد نصب لهم أسباب الضلال، ولم ينصب لهم أسباب الهدى، وأحالهم في الهدى على نفوسهم ، فيلزم على قولهم ان تركهم في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم بل ضرتهم .

ويقال لهم (ثانيا) فالرسول صلى الله عليه وسلم قد بين الاثبات الذي هو اظهر في العقل من قول النفاة ،مثل ذكره لخلق الله وقدرته ومشيئته وعلمه ونحو ذلك من الامور التي تعلم بالعقل أعظم مما يعلم نفي الجهمية ،وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الاثبات ،فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو اخفى وأدق وكلامه لم يدل عليه بل دل على نقيضه وضده ومن نسب هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فالله حسيبه على مايقول .

والمراتب ثلاث ، اما أن يتكلم بالهدي أو بالضلال أو يسكت عنهما . ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل، وهنا يعرف بالعقل ان الاثبات لم يسكت عنه بل بينه ،وكان ماجاء به السمع موافقا للعقل ،فكان الواجب فيما ينفيه العقل ،ان يتكلم فيه بالنفي كما فعل فيما يثبته العقل ،واذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه اسلم للامة

اما اذا تكلم فيه بما يدل على الاثبات ،واراد منهم ان لا يعتقدوا الا النفي ،لكون مجرد عقولهم تعرفهم به فاضافة هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم من اعظم أبواب الزندقة والنفاق

ويقال لهم (ثالثا) من الذي سلم لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة بل العقل الصريح إنما يوافق ما اثبته الرسول ، وليس بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلا ، وقد بسطنا هذا في مواضع بينا فيها أن مايذكرون من المعقول المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما هو جهل وضلال تقلده متأخروهم عن متقدميهم، وسموا ذلك عقليات، إنما هي جهليات ، ومن طلب من تحقيق ماقاله أئمة الضلال بالمعقول لم يرجع الا الى مجرد تقليدهم ، فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل تقليداً لمن توهموا انه عالم بالعقليات ،وهم مع أئمتهم الضلال كقوم فرعون معه، حيث قال (فاستخف قومه فأطاعوه)قال تعالى عنه (فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين)وفرعون هو امام النفاة ولهذا صرح محققوا النفاة بأنهم على قوله، كما يصرح به الاتحادية من الجهمية من النفاة ،اذ هو الذى انكر العلو وكذب موسى فيه وانكر تكليم الله لموسى قال تعالى (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب * اسباب السموات والارض فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) والله تعالى قد اخبر عن فرعون انه انكر الصانع وقال (وما رب العالمين) وطلب أن يصعد ليطلع الى اله موسى، فلو لم يكن

موسى اخبره أن الهه فوق لم يقصد ذلك ،فانه هو لم يكن مقراً به ،فاذا لم يخبره موسى به لم يكن اثبات العلو لامنه ولا من موسى عليه الصلاة والسلام. فلا يقصد الاطلاع ولا يحصل به ماقصده من التلبيس على قومه، بأنه صعد الى اله موسى ،ولكان صعوده اليه كنزوله الى الآبار والانهار، وكان ذلك اهون عليه ،فلا يحتاج الى تكلف الصرح

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لما عرج به ليلة الاسراء ووجد في السماء الاولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى ثم في الثالثة يوسف ثم في الرابعة ادريس ثم في الخامسة هارون ثم وجد موسى (١) ثم عرج الى ربه وفرض عليه خمسين صلاة ثم رجع الى موسى فقال له ارجع الى ربك فاسأل التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق ذلك ،قال « فرجعت الى ربي فسألته التخفيف لامتي » وذكر انه رجع الى موسى ثم رجع الى ربه مراراً فصدق موسى في أن ربه فوق السموات وفرعون كذب موسى في ذلك

والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال . وأهل السنة والاثبات موافقون لآل ابراهيم أئمة الهدى وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا خاشعين) وموسى ومحمد من آل ابراهيم بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين

---

(١) الظاهر أنه سقط من هذا الموضع أنه وجد موسى في السماء السادسة وابراهيم في السابعة

(الوجه الثاني) في تبيين وجوب الاقرار بالاثبات، وعلو الله على السموات أن يقال: من المعلوم أن الله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة وأن الله أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء وان معرفة مايستحقه الله وما تنزه عنه هو من أجل أمور الدين وأعظم أصوله وأن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفصله ولم يعلم أمته ما يقولون في هذا الباب ؟ وكيف يكون الدين قد كمل وقد تركوا على البيضاء ولا يدرون بماذا يعرفون ربهم أبما تقوله النفاة، أو بأقوال أهل الاثبات ؟

(الثالث) أن يقال كل من فيه أدنى محبة للعلم او ادنى محبة للعبادة لابد أن يخطر بقلبه هذا الباب ويقصد فيه الحق ومعرفة الخطأ من الصواب، فلا يتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا لا يسألون عنه، ولا يشتاقون الى معرفته، ولا تطلب قلوبهم الحق منه، وهم ليلا ونهارا يتوجهون بقلوبهم اليه ويدعونه تضرعا وخيفة ورغبا ورهبا، والقلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم. فهذا ومعرفة الحق فيه وهي مشتاقة اليه أكثر من شوقها الى كثير من الامور ومع الارادة الجازمة والقدرة يجب حصول المراد وهم قادرون على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وسؤال بعضهم بعضا، وقد سألوه عما هو دون هذا: سألوه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فأجابهم ،وسأله ابورزين: أيضحك ربنا ؟ فقال نعم: فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرا. ثم انهم لما سألوه عن الرؤية قال « انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر » فشبه الرؤية بالرؤية. والنفاة لا يقولون يرى كما ترى الشمس والقمر بل قولهم الحقيقي انه لا يرى بحال

ومن قال يرى موافقة لاهل الاثبات ومنافقة لهم فسر الرؤية بمزيد علم فلا تكون كرؤية الشمس والقمر

والمقصود هنا انهم لابد أن يسألوا عن ربهم الذي يعبدونه — ان كان ماتقوله الجهمية حقا — واذا سألوه فلا بد أن يجيبهم . ومن المعلوم بالاضطرار أن ماتقوله الجهمية النفاة لم ينقله عنه أحد من أهل التبليغ عنه وانما نقلوا عنه مايوافق قول أهل الاثبات

(الوجه الرابع) ان يقال إما أن يكون الله يحب منا ان نعتقد قول النفاة أو نعتقد قول اهل الاثبات اولا نعتقد واحدا منهما . فان كان مطلوبه منا اعتقاد قول النفاة وهو انه لاداخل العالم ولاخارجه وانه ليس فوق السموات رب ولاعلى العرش اله ، وأن محمدا لم يعرج به الى الله وانما عرج به الى السموات فقط لاالى الله ، فان الملائكة لاتعرج الى الله بل الى ملكوته ، وان الله لا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ، وأمثال ذلك وان كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها اجمال وابهام وايهام كقولهم ليس بمتحيز ولا جسم ولا جوهر ولا هو في جهة ولا مكان وامثال هذه العبارات التي تفهم منها العامة تنزيه الرب تعالى عن النقائص ، ومقصدهم هم انه ليس فوق السموات رب ولاعلى العرش اله يعبد ، ولا عرج بالرسول الى الله . وانما المقصود انه ان كان الذي يحبه الله لنا ان نعتقد هذا النفي فالصحابة والتابعون افضل منا فقد كانوا يعتقدون هذا النفي والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتقده ، واذا كان الله ورسوله يرضاه لنا وهو لما واجب علينا أو مستحب لنا فلا بد أن يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو واجب علينا ، ويدنينا الى ماهو مستحب لنا ،

ولا بد أن يظهر عنه وعن المؤمنين مافيه اثبات لمحبوب الله ومرضاته وما يقرب اليه لاسيما مع قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) لاسيما والجهمية تجعل هذا أصل الدين وهو عندهم التوحيد الذي لايخالفه الاشقي فكيف لايعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته التوحيد ؟ وكيف لايكون التوحيد معروفا عند الصحابة والتابعين ؟ والفلاسفة والمعتزلة ومن اتبعهم يسمون مذهب النفاة التوحيد وقد سمى صاحب المرشدة أصحابه الموحدين اذ عندهم مذهب النفاة هو التوحيد ، واذا كان كذلك كان من المعلوم انه لا بد أن يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة . فعلم أنه ليس بواجب ولا مستحب بل علم أنه ليس من التوحيد الذي شرعه الله تعالى لعباده

وإن كان يحب منا مذهب الاثبات وهو الذي أمرنا به فلا بد ايضاً ان يبين ذلك لنا ومعلوم ان في الكتاب والسنة من اثبات العلو والصفات أعظم مما فيهما من اثبات الوضوء والتيمم والصيام وتحريم ذوات المحارم وخبيث المطاعم ونحو ذلك من الشرائع . فعلى قول أهل الاثبات يكون الدين كاملا ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا مبينا والتوحيد عند السلف مشهوراً معروفا . والكتاب والسنة يصدق بعضه بعضاً والسلف خير هذه الامة ، وطريقهم أفضل الطرق ، والقرآن كله حق ليس فيه اضلال ، ولا دل على كفر ومحال ، بل هو الشفاء والهدى والنور . وهذه كلها لوازم ملتزمة ونتائج مقبولة فقولهم مؤتلف غير مختلف ومقبول غير مردود

وان كان الذي يحبه الله ألا نثبت ولا ننفي بل نبقى في الجهل

البسيط وفي ظلمات بعضها فوق بعض لا نفرق الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال ولا الصدق من الكذب بل نقف بين المثبتة والنفاة موقف الشاكين الحيارى (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا مصدقين ولا مكذبين - لزم من ذلك أن يكون الله يحب منا عدم العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم العلم بما يستحقه الله سبحانه وتعالى من الصفات التامات، وعدم العلم بالحق من الباطل، ويحب منا الحيرة والشك، ومن المعلوم ان الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال وانما يحب الدين والعلم واليقين . وقد ذم الحيرة بقوله تعالى (قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى : ائتنا. قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين * وأن اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون) وقد أمرنا الله تعالى أن نقول (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » فهو يسأل ربه ان يهديه لما اختلف فيه من الحق، فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى في مسائل الخلاف؟ وقد قال الله له (وقل رب زدني علما) وما يذكره بعض الناس عنه انه قال « زدني فيك تحيرا » كذب باتفاق أهل العلم بحديثه، بل هذا سؤال من هو حائر وقد سأل المزيد من الحيرة ولا

يجوز لاحد أن يسأل ويدعو بزيد الحيرة اذا كان حائراً بل يسأل الهدى والعلم، فكيف بمن هو هادي الخلق من الضلال . وانما ينقل هذا عن بعض الشيوخ الذين لا يقتدى بهم في مثل هذا إن صح النقل عنه فهذا يلزم عليه امور

(أحدها) ان من قال هذا فعليه ان ينكر على النفاة فانهم ابتدعوا الفاظا ومعاني لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة . وأما المثبتة اذا اقتصروا على النصوص فليس له الانكار عليهم - وهؤلاء الواقفة هم في الباطن يوافقون النفاة او يقرونهم ، وانما يعارضون المثبتة فعلم انهم أقروا أهل البدعة ، وعادوا أهل السنة

(الثاني) ان يقال عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحب الله ورسوله فهذا القول باطل

(الثالث) ان يقال الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين غاية ما في الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا الاثبات يسكت

فاما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس للواقف الشاك الحائر ان ينكر على العالم الجازم المستبصر المتبع للرسول العالم بالمنقول والمنقول

(الرابع) ان يقال السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة وقالوا بالاثبات وافصحوا به ، وكلامهم في الاثبات والانكار على النفاة اكثر من ان يمكن اثباته في هذا المكان وكلام الائمة المشاهير مثل مالك والثوري والاوزاعي وابي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابي عبيدة وائمة اصحاب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد موجود كثير لا يحصيه احد

وجواب مالك في ذلك صريح في الاثبات فان السائل قال له يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، وفي لفظ: استواؤه معلوم او معقول، والكيف غير معقول والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة. فقد اخبر رضي الله عنه بان نفس الاستواء معلوم وان كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول اهل الاثبات

واما النفاة فما يثبتون استواء حتى تجهل كيفيته بل عند هذا القائل الشاك وامثاله ان الاستواء مجهول غير معلوم وان كان الاستواء مجهولا لم يحتج ان يقال الكيف مجهول لاسيما اذا كان الاستواء منفيا فالمنفي المعدوم لا كيفية له حتى يقال هي مجهولة أو معلومة وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء وانه معلوم وان له كيفية لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن. ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية ، فان السؤال انما يكون عن امر معلوم لنا ونحن لا نعلم كيفية استوائه وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا يبين ذلك ان المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك انه قال الله في السماء وعلمه في كل مكان حتى ذكر ذلك مكي في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك ونقله أبو عمر والطلمنكي وابو عمر بن عبد البر وابن أبي زيد في المختصر وغير واحد ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الاثبات. والقول الذي قاله مالك قاله قبله ربيعة بن عبد الرحمن شيخه كما رواه عنه سفيان بن عيينة وقال عبد العزيز بن عبدالله ابن ابي سلمة الماجشوني كلاما طويلا يقرر مذهب الاثبات ويرد على النفاة وقد ذكرناه في غير هذا الموضع

وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم وكلام ائمة

المالكية وقدمائهم في الاثبات كثير مشهور لان علماءهم حكوا اجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه .وابن أبي زيد انما ذكر ماذكره سائر أئمة السنة ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن ابي زيد في هذا وهو انما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين لانه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد .ولم يرد على ابن ابى زيد في هذا الا من كان من اتباع الجهمية النفاة لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف للكتاب والسنة ،ولكن زعم من خالف ابن ابي زيد وامثاله انما خالفه مخالف للعقل (١) وقالوا إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن الكلام الذي يعرف فيه مايجوز على الله وما لا يجوز. والذي أنكروا على ابن أبي زيد وإمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الانكار عن متأخري الاشعرية كابى المعالي وأتباعه وهؤلاء تلقوا هذا الانكار عن الاصول التي شركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية ، فالجهمية من المعتزلة وغيرهم هم أصل هذا الانكار

وسلف الامة وأئمتها متفقون على الاثبات ، رادون على الواقفة والنفاة ،مثل مارواه البيهقي وغيره عن الاوزاعي قال : كنا — والتابعون متوافرون — نقول: ان الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته

وقال أبو مطيع البلخي في كتاب الفقه الاكبر سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو فى الارض ، قال: كفر ، لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سمواته ، فقلت انه يقول على العرش ولكن لاأدري العرش في السماء أو فى الارض ، فقال انه إذا أنكر أنه في السماء كفر، لانه تعالى فى أعلى عليين، وانه يُدعى من أعلى لا من

(١) كذا في الاصل وفي هامشه الظاهر : إنما خالفه لمخالفته العقل

اسفل . قال عبد الله بن نافع كان مالك بن انس يقول : الله في السماء وعلمه كل مكان . وقال معدان : سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم) قال علمه . وقال حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجه رواه ابن ابي حاتم والبخاري وعبدالله بن احمد وغيرهم : انما يدور كلام الجهمية على ان يقولوا ليس في السماء شيء . وقال علي بن الحسن بن شقيق قلت لعبد الله بن المبارك بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . قلت بحد ؟ قال : بحد لا يعلمه غيره ، وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه ، وهو نظر صحيح ثابت عن احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغير واحد من الائمة . وقال رجل لعبدالله بن المبارك يا ابا عبدالرحمن قد خفت الله من كثرة ما ادعو على الجهمية . قال لا تخف فانهم يزعمون ان إلهك الذي في السماء ليس بشيء . وقال جرير بن عبدالحميد : كلام الجهمية اوله شهد وآخره سم ، وانما يحاولون ان يقولوا ليس في السماء إله . رواه ابن ابي حاتم ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبدالرحمن بن مهدي قال : ان الجهمية ارادوا أن ينفوا ان يكون الله كلم موسى بن عمران ، وان يكون على العرش ، ارى ان يستتابوا فان تابوا وإلا ضربت اعناقهم . وقال يزيد بن هارون من زعم ان الله على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي . وقال سعيد بن عامر الضبعي — وذكر عنده الجهمية فقال — هم شر قول من اليهود والنصارى ، قد اجمع اهل الاديان مع المسلمين ان الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء . وقال عباد بن العوام الواسطي كلمت بشر المريسي واصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى ان يقولوا ليس في السماء شيء ، ارى ان لا يناكحوا ولا يوارثوا . وهذا كثير من كلامهم

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس مقالة أهل السنة وأهل الحديث ، كما ذكره ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ، ومقالات الاسلاميين ، فذكر فيه أقوال الخوارج والرافضة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم . ثم قال : ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وجملة قولهم : الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا — الى أن قال — وأن الله على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى « لما خلقت بيدي » وأقروا أن لله علما كما قال (أنزله بعلمه وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وقالوا : إنه لا يكون في الارض خير ولا شر الا ما شاء الله ، وأن الاشياء تكون بمشيئة الله ، كما قال (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) الى أن قال : ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل « إن الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فاغفرله » كما جاء في الحديث

ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وذكر أشياء كثيرة ، الى أن قال . فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب

قال الاشعري ايضا في مسئلة الاستواء : قال اهل السنة واصحاب الحديث ليس بجسم ، ولا يشبه الاشياء ، وانه على عرشه كما قال (الرحمن

على العرش استوى) ولا نتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول استوى بلا كيف ، وانه له يدين بلا كيف كما قال تعالى (لما خلقت بيدي) — وان الله ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث . قال : وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى . وقال الاشعري ايضا فى كتاب الابانة فى اصول الديانة فى باب الاستواء ان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل : نقول له إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى وقال اليه يصعد الكلم الطيب وقال بل رفعه الله اليه وقال حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) كذب فرعون موسى فى قوله ان الله فوق السموات وقال الله تعالى (أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) فالسموات فوقها العرش وكل ماعلا فهو سماء وليس اذا قال (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السموات وانما اراد العرش الذي هو اعلا السموات الا ترى انه ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورا ولم يردانه يملأ السموات جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون ايديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش وقد قال قائلون من المعتزله والجهمية والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر وأن الله في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش والاخلية فلو كان مستويا على العرش بمعني

الاستيلاء لجاز ان يقال هو مستوعلى الاشياء كلهاوعلى الحشوش والاخلية فبطل ان يكون معني الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام فى الاشياء كلها ، وقد نقل هذا عن الاشعري غير واحدمن ائمة اصحابه كابن فورك والحافظ بن عساكر فى كتابه الذى جمعه فى تبيين كذب المفتري فيما ينسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري ،وذكر اعتقاده الذي ذكره في الابانة وقوله فيه فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحلولية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذى به نقول ، وديانتنا التي ندين (بها) التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولما خالف فيه مجانبون لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين ورحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وذكر ماتقدم وغيره جمل كبيرة أوردت فى غير هذا الموضع ،وقال أبو بكر الآجري فى كتاب الشريعة الذى يذهب اليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ماخلق فى السموات العلى وجميع مافى سبع أرضين يرفع اليه أفعال العباد ،فان قال قائل:أي شيء معنى قوله (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) الاية

قيل له علمه، والله على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسره أهل العلم والآية يدل أولها وآخرها انه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين

والقول الذي قاله الشيخ محمد بن أبي زيد وانه فوق عرشه المجيد بذاته وهو فى كل مكان بعلمه قد تأوله بعض المبطلين بان رفع المجيد ومراده أن الله هو المجيد بذاته وهذا مع أنه جهل واضح فانه بمنزلة ان يقال الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته

وقد صرح ابن أبي زيد فى المختصر بان الله فى سمائه دون ارضه هذا لفظه والذي قاله ابن ابى زيد ما زالت تقوله أئمة أهل السنة فى جميع الطوائف

وقد ذكر ابو عمرو الطلمنكي الامام فى كتابه الذي سماه الوصول الى معرفة الاصول :أن اهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه وكذلك ذكره عثمان بن ابي شيبة حافظ الكوفة فى طبقة البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة وكذلك ذكره يحي ابن عمار السجستاني الامام في رسالته المشهورة فى السنة التي كتبها الى ملك بلاده... وكذلك ذكر ابو نصر السجزى الحافظ فى كتاب الابانة له قال: وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد ابن زيد وابن المبارك وفضيل ابن عياض واحمد واسحاق متفقون على ان الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان وكذلك ذكر شيخ الاسلام الانصاري وأبو العباس الطرقي والشيخ عبد القادر ومن لا يحصي عدده إلا الله من أئمة الاسلام وشيوخه

وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهانى صاحب حلية الاولياء وغير ذلك من الصفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه : طريقنا طريق السلف

المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الامة قال وما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام أحدث الاشياء من غير شيء وأن القرآن كلام الله وسائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق وأن القرآن من جميع الجهات مقروءاً ومتلوا ومحفوظاً ومسموعا وملفوظاً كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق وان الواقفة من اللفظية من الجهمية، وان من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر ـ وذكر أشياء الى أن قال: وان الاحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وان الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه وذكر سائر اعتقادات السلف واجماعهم على ذلك وقال يحي ابن عمار في رسالته لا نقول كما قالت الجهمية انه مداخل الامكنة وممازج كل شيء ولا نعلم اين هو بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله (وهو معكم اينما كنتم) وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد شيخ الصوفية في هذا المصر أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة واجمع ماكان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين فذكر أشياء من الوصية الى أن قال فيها: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تأويل والاستواء معقول والكيف مجهول وأنه مستو على عرشه بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة وأنه عز

وجل بصير سميع عليم خبير يتكلم ويرضي ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل ومن انكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وقال الامام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب الرسالة في السنة: ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون ان الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الامة وأعيان سلف الامة لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته قال: وأما امامنا ابو عبدالله الشافعي احتج في كتابه المبسوط في مسألة اعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لايصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة ، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتاقه اياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا ! فقال لها « اين ربك» فاشارت الى السماء ، فقال «أعتقها فانها مؤمنة » فحكم بايمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية

وقال الحافظ ابو بكر البيهقي باب القول في الاستواء

قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ثم استوى على العرش ، وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه(ءأمنتم من في السماء) وأراد من فوق السماء كما قال (ولاصلبنكم في جذوع النخل) بمعنى على جذوع النخل وقال (فسيحوا في الارض) أي على الارض ، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الاية ءأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الايات قال: وفيما

كتبنامن الايات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان وقوله (وهو معكم أينما كنتم) انما أراد بعلمه لا بذاته

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال وهذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة قال وهذا أشهر عند الخاصة والعامة وأعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم وقال أبو عمر أيضا : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم قالوا في تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله

***

وقال شيخ الاسلام المسؤول أيده الله: فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف إذ لم ينقل عنهم غير ذلك إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الايات الفرقانية والاحاديث النبوية فنسأل الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين

والحمد لله وحده

فتاوى لابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) وقال رحمه الله ورضي عنه فى رجل تزوج بنتا بكرا بالغا ودخل بها فوجدها بكرا ثم انها ولدت ولدا بعض مضي ستة أشهر بعد دخوله بها فهل يلحق به الولد أم لا وأن الزوج حلف بالطلاق منها أن الولد ولده من صلبه فهل يقع به الطلاق أم لا والولد ابنا سويا كامل الخلقة وعمر سنين افتونا مأجورين

اجاب رضي الله عنه الحمد لله. اذا ولدته لاكثر من ستة اشهر من حين دخل بها ولو بلحظة لحقه الولد باتفاق الائمة ومثل هذه القصة وقعت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستدل الصحابة على إمكان كون الولد يولد لستة اشهر بقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فاذا كان مدة الرضاع من الثلاثين حولين يكون الحمل ستة اشهر فجمع في الآية اقل الحمل وتمام الرضاع ولو لم يستلحقه فكيف إذا استلحقه وأقر به بل لو استلحق مجهول النسب وقال انه ابني لحقه باتفاق المسلمين اذا كان ذلك ممكنا ولم يدع به أنه ابنه كان بارا في يمينه ولا حنث عليه

والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)(مسألة في الفقر والتصوف) صورتها. ماتقول الفقهاء رضي الله عنهم في رجل يقول ان الفقر لم يتعبد به ، ولم نؤمر به ، ولا جسم له ، ولا معنى وأنه غير سبيل موصل الى رضي الله تعالى والى رضى رسوله وانما تعبدنا بمتابعة أمر الله واجتناب نهيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن أصل كل شيء العلم والتعبد والعمل به ، والتقوى والورع عن المحارم ، والفقر المسمى على لسان الطائفة والا كابر هو الزهد في الدنيا ، والزهد في الدنيا يفيده العلم الشرعي فيكون الزهد في الدنيا العمل بالعلم وهذا هو الفقر ، فاذاً الفقر فرع من فروع العلم ، والامر على هذا. وما ثم طريق أوصل من العلم ، والعمل بالعلم على ماصح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان الفقر المسمى المعروف عند أكثر أهل الزي المشروع في هذه الاعصار من الزي والالفاظ والاصطلاح المعتادة غير مرضي لله ولا لرسوله ، فهل الامر كما قال ، أو غير ذلك افتونا مأجورين

نسخة جواب الشيخ تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه الحمد لله أصل هذه المسألة أن الالفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة علينا أن نتبع مادلت عليه مثل لفظ الايمان والبر والتقوى والصدق والعدل ، والاحسان والصبر ، والشكر والتوكل والخوف والرجاء والحب لله والطاعة لله وللرسول وبر الوالدين والوفاء بالعهد ونحو ذلك مما يتضمن ذكر ماأحبه الله ورسوله من القلب والبدن . فهذه الامور التي يحبها الله ورسوله هي الطريق الموصل الى الله مع ترك مانهى الله

عنه ورسوله كالكفر والنفاق والكذب والاثم والعدوان والظلم والجزع والهلع والشرك والبخل والجبن وقسوة القلب والغدر وقطيعة الرحم ونحو ذلك فعلى كل مسلم أن ينظر فيما أمر الله به ورسوله فيفعله وما نهى الله عنه ورسوله فيتركه . هذا هو طريق الله وسبيله ودينه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا الصراط المستقيم يشتمل على علم وعمل ، علم شرعي وعمل شرعي فمن علم ولم يعمل بعلمه كان فاجراً ومن عمل بغير العلم كان ضالا وقد امرنا سبحانه أن نقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال النبي صلى الله عليه وسلم « اليهود المغضوب عليهم والنصارى ضالون » وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يعملوا به والنصارى عبدوا الله بغير علم . ولهذا كان السلف يقولون احذر فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وكانوا يقولون من فسد من العلماء ففيه شبه باليهود . ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى فمن دعا الى العلم دون العمل المأمور به كان مضلا وأضل منهما من سلك في العلم طريق أهل البدع فيتبع أموراً تخالف الكتاب والسنة يظنها علوما وهي جهالات . وكذلك من سلك فى العبادة طريق أهل البدع فيعمل اعمالا تخالف الاعمال المشروعة يظنها عبادات وهي ضلالات فهذا وهذا كثير في المنحرف المنتسب الى فقه أو فقر ، يجتمع فيه انه يدعو الى العلم دون العمل . والعمل دون العلم . ويكون مايدعو اليه فيه بدع تخالف الشريعة . وطريق الله لاتتم الا بعلم وعمل يكون كلاهما موافق الشريعة

فالسالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة ان لم يسلك بعلم

يوافق الشريعة ، والا كان ضالا عن الطريق ، وكان مايفسده أكثر مما يصلحه . والسالك من الفقه والعلم والنظر والكلام ان لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه والا كان فاجرا ، ضالا عن الطريق . فهذا هو الاصل الذي يجب اعتماده على كل مسلم

وأما التعصب لامر من الامور بلا هدى من الله فهو من عمل الجاهلية ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . ولا ريب أن لفظ الفقر في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا يريدون به نفس طريق الله ، وفعل ما أمر به ، وترك مانهى عنه والاخلاق المحمودة ولا نحو ذلك ، بل الفقر عندهم ضد الغنى . والفقراء هم الذين ذكرهم الله في قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وفي قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) وفي قوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) والغني هو الذي لايحل له أخذ الزكاة ، أو الذي يجب عليه الزكاة ، أو ما يشبه هذا . لكن لما كان الفقر مظنة الزهد طوعا أو كرها . اذ من العصمة أن لاتقدر . وصار المتأخرون كثيرا مايقرنون بالفقر معنى الزهد ، والزهد قديكون مع الغني ، وقد يكون مع الفقر . ففي الانبياء والسابقين الاولين ممن هو زاهد مع غناه كثير

والزهد المشروع ترك مالا ينفع في الدار الآخرة . وأما كل مايستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع . وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ الصوفي ، لان لبس

الصوف يكثر في الزهاد . ومن قال ان الصوفي نسبة الى الصفة أو الصفاء أو الصف الاول او صوفة بن مر بن اد بن طابخة أو صوفة القفا فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى . لكن من الناس من قد لحوا الفرق في بعض الامور دون بعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ، ولا يفرق بين البر والفاجر، أو يفرق بين بعض الابرار وبين بعض الفجار، ولا يفرق بين آخرين اتباعا لظنه وما يهواه ، فيكون ناقص الايمان بحسب ما سوى بين الابرار والفجار ، ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب مافرق به بين أوليائه وأعدائه

ومن أقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرية كالمعتزلة ونحوهم الذين هم مجوس هذه الامة فهؤلاء يشبهون المجوس وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضا فهو من اتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه فهذا التقسيم من القول والاعتقاد وكذلك هم في الاحوال والافعال فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على مايصيبه من المقدور فهو عند الامر والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) واذا أذنب استغفر وتاب لايحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات ولا يرى المخلوق حجة على رب الكائنات بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد (اللهم انت ربي لااله الا انت خلقتني وأنا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء

بذنبي فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب الا انت » فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ويعلم انه هو هداه ويسره لليسرى ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها كما قال بعضهم اطعتك بفضلك والمنة لك وعصيتك بعلمك والحجة لك فاسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي الا ماغفرت لي

وفي الحديث الصحيح الالهي « ياعبادي انما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضع. وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة حسب الاستطاعة لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر. واخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ماليس عند أولئك لكنهم لايلتزمون امر الله ورسوله واتباع شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه والذين من قبلهم يريدون ان يعبدوه ولا يستعينوه والمؤمن يعبده ويستعينه

(والقسم الرابع) شر الاقسام وهو من لايعبده ولا يستعينه فلاهو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني وانقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل القدور من توكل واستعانة ونحو ذلك وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني أربعة أقسام

(أحدها) أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم أهل السعادة في الدنيا والاخرة (والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر مثل الذين

يفعلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن اذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلعه

(والثالث) قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها كثير من الناس

وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الاذى والالام وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض أو فسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك يصبرون على أنواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر

وأما القسم الرابع فهو شر الاقسام لا يتقون اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا بل هم كما قال الله تعالى (إن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) فهؤلاء تجدهم من اظلم الناس واجبرهم اذا قدروا ومن أذل الناس واجزعهم اذا قهروا ان قهرتهم ذلوا لك ونافقوك

وحبوك واستر حوك ودخلوا فيما يدفعون به من أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل وإن قهروك كانوا من أظلم الناس وأقسام قلبا وأقلهم رحمة وأحسانا وعفوا كما قد جربه المسلمون فى كل من كان عن حقايق الايمان أبعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في كثير من امورهم وان كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم فالاعتبار بالحقائق فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار واعمالهم كان شبيها لهم من هذا الوجه وكان مامعه من الاسلام او مايظهره منه بمنزلة مامعهم من الاسلام وما يظهرونه منه بل يوجد فى غير التتار المقاتلين من المظهرين للاسلام من هو اعظم ردة واولى بالاخلاق الجاهلية وابعد عن الاخلاق الاسلامية من التتار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى خطبة «خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» واذ كان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد فكل من كان الى ذلك اقرب وهو به أشبه كان الى الكمال أقرب وهو به أحق ، ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه أضعف كان على الكمال أبعد وبالباطل أحق ، والكامل هو من كان لله أطوع ، وعلى ما يصيبه أصبر فكلما كان اتبع لما يأمر الله به ورسوله واعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه وصبر على ما قدره وقضاه كان أكمل وأفضل ، وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعاً في غير موضع من كتابه ، وبين أنه ينتصر العبد على عدوه من الكفار ، المحاربين المعاهدين والمنافقين وعلى من

ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة ، قال الله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين) وقال الله تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون * هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال اخوة يوسف له (انك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموما وخصوصا فقال تعالي (واتبع ما يوحي اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) وفي اتباع ما أوحي اليه التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لامره ، وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ، واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالي (فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) وقال تعالي (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس

وقبل غروبها ومن آناء الليل) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) فهذه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر وقرن بين الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة أيضا رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كأهل القوة والقسوة ، ومنهم من يرحم ولا يصبر كأهل الضعف واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن ، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كأهل القسوة والهلع ، والمحمود هو الذي يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في صفة المتولي : ينبغي أن يكون قويا من غير عنف ، لينا من غير ضعف ، فبصبره يقوى وبلينه يرحم ، وبالصبر يُنصر العبد فان النصر مع الصبر وبالرحمة يرحمه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « انما يرحم الله من عباده الرحماء » وقال « من لم يَرحم لا يُرحم » وقال « لا تنزع الرحمة إلا من شقي ، الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » والله أعلم انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في شروط عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام وشارطهم بمحضر من المهاجرين والانصار ، وعليها العمل عند أئمة المسلمين لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم

ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » لان هذا صار اجماعا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين لا يجتمعون على ضلالة على مانقلوه وفهموه من كتاب الله وسنة رسوله ، وهذه الشروط مروية من وجوه مختصرة ومبسوطة

(منها) مارواه سفيان الثوري عن مسروق بن عبدالرحمن بن عتبة قال: كتب عمر حين صالح نصارى الشام كتابا وشرط عليهم فيه أن لا يحدثوا في مدنهم ولا ماحولها ديراً ولا صومعة ولا كنيسة ولا قلاية لراهب ، ولا يجددوا ماخرب ، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يؤوا جاسوساً ولا يكتموا غش المسلمين ولا يعلموا أولادهم القرآن ولا يظهروا شركا ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الاسلام ان أرادوه ، وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم ان أرادوا الجلوس ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، ولا يتكنوا بكناهم ولا يركبوا سرجا ولا يتقلدوا سيفا ولا يتخذوا شيئا من سلاح ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ولا يبيعوا الخمور ، وان يجزوا مقادم رؤوسهم وان يلزموا زيهم حيثما كانوا ،وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليبا ولا شيئا من كتبهم في شيء من طرق المسلمين ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس الاضربا خفيا ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا اشمانين، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق ماجرت عليه سهام المسلمين ،فان

خالفوا شيئاً مما اشترط عليهم فلا ذمة لهم، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق

وأما ما يرويه بعض العامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من آذى ذمياً فقد آذاني » فهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يروه أحد من أهل العلم وكيف ذلك وأذاهم قد يكون بحق وقد يكون بغير حق بل قد قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) فكيف يحرم أذى الكفار مطلقاً وأي ذنب أعظم من الكفر، ولكن في سنن أبي داود عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله لم يأذن لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب الا باذن، ولا ضرب أبشارهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم » وكان عمر بن الخطاب يقول: أذلوهم ولا تظلموهم

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة » وفي سنن أبي داود عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على مسلم جزية، ولا تصلح قبلتان بأرض » وهذه الشروط قد ذكرها أئمة العلماء من أهل المذاهب المتنوعة وغيرها في كتبهم واعتمدوها فقد ذكروا أن على الامام أن يلزم أهل الذمة بالتمييز عن المسلمين في لباسهم، وشعورهم، وكنيتهم، وركوبهم بان يلبسوا ثوبا يخالف ثياب المسلمين كالعسلي، والازرق، والاصفر، والادكن ويشدوا الخرق في قلانسهم وعمائمهم والزنانير فوق ثيابهم، وقد أطلق طائفة من

العلماء انهم يؤخذون باللبس وشد الزنانير جميعا ، ومنهم من قال هذا يجب اذا شرط عليهم ، وقد تقدم اشتراط عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك عليهم جميعا حيث قال: ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا غيرها من عمامة ولا نعلين الى أن قال : ويلزمهم بذلك حيثما كانوا ويشدوا الزنانير على أوساطهم

وهذه الشروط يجددها عليهم من يوفقه الله تعالى من ولاة أمور المسلمين كما جدد عمر بن عبد العزيز في خلافته وبالغ في اتباع سنة عمر ابن الخطاب حيث كان من العلم والعدل والقيام بالكتاب والسنة بمنزلة ميزه الله بها عن غيره من الائمة ، وجددها هارون الرشيد وجعفر المتوكل وغيرهما وأمروا بهدم الكنائس التي ينبغي هدمها كالكنائس التي بالديار المصرية كلها ففي وجوب هدمها قولان ولا نزاع في جواز هدم ماكان بأرض العنوة اذا فتحت ولو أقرت بأيديهم لكونهم أهل الوطن كما أقرهم المسلمون على كنائس بالشام ومصر ثم ظهرت شعائر المسلمين فيما بعد في تلك البقعة بحيث بنيت فيها المساجد فلا يجتمع شعائر الكفر مع شعائر الاسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لايجتمع قبلتان بأرض » ولهذا شرط عليهم عمر والمسلمون ان لا يظهروا شعائر دينهم

وأيضا فلا نزاع بين المسلمين ان أرض المسلمين لايجوز أن تحبس على الديارات والصوامع ولا يصح الوقف عليها بل لو وقفها ذمي وتحاكم الينا لم يحكم بصحة الوقف فكيف تحبس أموال المسلمين على معابد الكفار التي يشرك فيها بالرحمن ويسب الله ورسوله فيها أقبح سب وكان من سبب احداث هذه الكنائس وهذه الاحباس عليها شيئان أحدهما ان بني

عبيد الله القداح الذين كان ظاهرهم الرفض وباطنهم النفاق يستوزرون تارة يهوديا وتارة نصرانيا واجتلب ذلك النصراني خلقا كثيرا وبنى كنائس كثيرة

والثاني استيلاء الكتاب من النصارى على أموال المسلمين فيدلسون فيها على المسلمين ما يشاؤن والله أعلم. قاله أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة فيمن يفعل من المسلمين مثل طعام النصارى في النيروز ويفعل سائر المواسم مثل الغطاس ، والميلاد ، وخميس العدس ، وسبت النور ، ومن يبيعهم شيئا يستعينون به على أعيادهم أيجوز للمسلمين أن يفعلوا شيئا من ذلك أم لا ؟

الجواب الحمد لله . لا يحل للمسلمين ان يتشبهوا بهم في شيء مما يختص باعيادهم لا من طعام ، ولا لباس ، ولا اغتسال ، ولا ايقاد نيران ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك ولا يحل فعل وليمة ولا الاهداء ولا البيع بما يستعان به على ذلك لاجل ذلك ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الاعياد ولا إظهار زينة ، وبالجملة ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الايام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصه، وأما اذا أصابه المسلمون قصدا فقد كره ذلك طوائف من السلف والخلف وأما تخصيصه بما تقدم ذكره فلا نزاع فيه بين العلماء بل قد ذهب طائفة من العلماء الى كفر من يفعل هذه الامور لما فيها من تعظيم شعائر

الكفر . وقال طائفة منهم من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيراً. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص من تأسى ببلاد الاعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتي يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة وفى سنن أبي داود عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينحر إبلا (ببوانة) فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني نذرت ان أنحر إبلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «هل كان فيها من وثن يعبد من دون الله من أوثان الجاهلية؟» قال لا قال «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قال لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» فلم يأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يوفي بنذره مع ان الاصل في الوفاء أن يكون واجبا حتى أخبره انه لم يكن بها عيد من أعياد الكفار وقال «لا وفاء لنذر في معصية الله» فاذا كان الذبح بمكان كان فيه عيدهم معصية فكيف بمشاركتهم في نفس العيد، بل قد شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والصحابة وسائر أئمة المسلمين ان لا يظهروا أعيادهم في دار المسلمين وانما يعملونه سراً في مساكنهم فكيف اذا اظهرها المسلمون حتى قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : لاتتعلموا رطانة الاعاجم ولا تدخلوا على المشركين فى كنائسهم يوم عيدهم فان السخط ينزل عليهم ، واذا كان الداخل لفرجة او غيرها نهى عن ذلك لان السخط ينزل عليهم فكيف بمن يفعل مايسخط الله به عليهم مما هي من شعائر دينهم ؟ وقد قال غير واحد من السلف فى قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) قالوا أعياد الكفار فاذا كان هذا فى شهودها من غير فعل فكيف بالافعال التي هي من خصائصها

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فى المسند والسنن انه قال « من تشبه بقوم فهو منهم » وفى لفظ « ليس منا من تشبه بغيرنا » وهو حديث جيد فاذا كان هذا فى التشبه بهم وان كان فى العادات فكيف التشبه بهم فيما هو أبلغ من ذلك وقد كره جمهور الائمة اما كراهة تحريم أو كراهة تنزيه اكل ماذبحوه لاعيادهم وقرابينهم ادخالا له فيما أهل به لغير الله وماذبح على النصب ، وكذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم باهداء أو مبايعة وقالوا : انه لايحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم لالحما ، ولا دما ، ولا ثوبا ، ولا يعارون دابة ولا يعاونون على شيء من دينهم لان ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم ، وينبغي للسلاطين ان ينهوا المسلمين عن ذلك لان الله تعالى يقول (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ثم ان المسلم لايحل له أن يعينهم على شرب الخمور بعصرها أو نحو ذلك فكيف على ماهو من شعائر الكفر ، واذا كان لا يحل له أن يعينهم هو فكيف اذا كان هو الفاعل لذلك . والله أعلم

قاله

أحمد بن تيمية

تمت

فهرس رسائل وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

﴿ الرسالة الاولى ص ٢ — ٩ ﴾

في الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل وفيها مباحث

التقوى مع الصبر، الخلق والامر والجمع والفرق والشرع والقدر والحقيقتان الكونية والشرعية. أقسام الناس في الصبر والتقوى وأخلاق المؤمنين والكفار واقترانهما بالصلاة وبالنصر والصبر والرحمة

﴿ الرسالة الثانية ص ١٠ ـ ٢٤ ﴾

في الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله بالاعمال وبالاشخاص

١١ الشفاعة . ما يسوغ منها وما يحظر
١٢ استسقاء عمر ومعاوية والحجة في ذلك
١٣ و ١٨ توسل الاعمى وتأويل حديثه
١٤ دعاء الناس بعضهم لبعض
١٥ الاستغاثة لاتكون إلا بالله
١٦ الغيبة والحضور والحياة والموت
١٧ الحلف بالرسول ومذاهب العلماء فيه
١٩ سؤال الله والاقسام بحق عابديه عليه
٢١ حديث السؤال بجاه الرسول موضوع
٢٢ دعاء غير الله تعالى وسؤالهم
٢٤ تعظيم الموتى سبب عبادة الاصنام

﴿ الرسالة الثالثة ص ٢٥ — ٦٠ ﴾

في أهل الصفة والاباطيل فيهم وفي الاولياء

٢٧ بيان الصفة وأهلها وعددهم والمهاجرين وأحكامهم
٢٩ أبو عبد الرحمن السلمى مصنف الصوفية
٣٠ الاكتساب وتحريم السؤال
٣٤ توحيد الربوبية وحده لا ينفي الكفر
٣٥ التوحيد الذي جاءت به الرسل
٣٦ كثرة العبادة قد تجامع الكفر أو البدعة
٣٧ كفر الباطنية ودعوى تفضيل أهل الصفة على أكابر الصحابة
٣٨ و ٥٦ سماع المتصوفة
٣٩ أكاذيب الصوفية في الاولياء
٤١ معنى الولي والولاية وشروطها
٤٣ الولاية لاتقتضي العصمة من الذنب
٤٤ الفقراء والاغنياء. أصنافهم وأحكامهم
٤٦ و ٤٩ ـ ٥١ الاوتاد والابدال والنجباء والغوث ورجال الغيب
٤٨ الرافضة والباطنية والمتصوفة
٥٢ القلندرية والملامية
٥٣ مرتكب الكفر وشرط تكفيره
٥٤ تحريم اتخاذ القبور مساجد وأعياداً
٥٥ عدم فائدة النذر لله وكفر الناذر لغير الله
٥٧ أصحاب الاحوال وجزاء عدوانهم
٥٨ المشاهد والقبور المشهورة
٥٩ ما يشرع عند القبور وما لا يشرع
٦٠ المساجد وتعظيمها

﴿ الرسالة الرابعة ص ٦١ — ١٢٠ ﴾

في أبطال وحدة الوجود

٦١-٦٦ أهل الوحدة وشيء من أقوالهم وأشعار كبرائهم كابن عربي والحلاج
٦٧ الثبوت والوجود والاطلاق والتعيين
٦٨ و ١١٤ تناقض أهل الوحدة وتصحيحهم للشرك
٦٩ معنى مباينة الله تعالى لمخلوقاته
٧٠ المعطلة والحلولية من الجهمية والمتصوفة
٧١ تحذير الجنيد من الحلول والوحدة
٧٢ و ٩٢ الاحتجاج بالقدر على المعاصي

٧٤ عصيان آدم وابليس والفرق بينهما
٧٥ المخاصمون لله في القدر وخصومهم
٧٦ عدم تفرقتهم بين الحق والخلق
٧٧ تناقض ابن سبعين وابن عربي
٧٩ الحلول العام والخاص وبطلانهما
٨١ تجويزهم الجمع بين النقيضين
٨٢ الفناء وأقسامه الثلاثة
٨٤ شعر ابن الفارض في الاتحاد
٨٥ كذبهم على المسيح وفي خلق آدم
٨٦ تمثيلهم ظهور الحق في الخلق
٨٨ أمر التشريع هو الظاهر وليس فيه باطن
٨٩ « التكوين حتى للجماد
٩١ محاجة آدم وموسى في القدر
٩٥ معنى آية (وما رميت اذ رميت)
٩٧ « « (ان الذين يبايعونك)
٩٨ الحلول الخاص
٩٩ لا يرى أحد ربه في الدنيا
١٠٠ أقوال الناس في رؤية الله تعالى ثلاثة
١٠٢ استحالة اتحاد المخلوق بالخالق تعالى
١٠٣ تفسير حديث تقرب العبد الى الرب
١٠٤ تجلي الله تعالى في الصور وقولهم فيه
١٠٧ أمثال الحلولية من النصارى والصوفية
١٠٨ آيات المسيح من نوع آيات الرسل
١١٠ قولهم لا يعرف التوحيد الا واحد
١١٢ صفات الله قائمة به لا عينه ولا غيره
١١٣ الفرق بين العبد والرب
١١٧ اتحاد الصوفية أشر من كفر غيرهم
١١٨ الاعتذار عن الاتحادية. التأويل لهم

﴿الرسالة الخامسة ص ١٢١ ـ ١٤٦﴾

في مناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية
لدجاجلة البطائحية الرفاعية

١٢٢ مخاريق الطرقية وخوارقهم
١٢٤ وضعهم أغلال الحديد في أعناقهم
١٢٥ التعبد بالمباح وتشريعه محظور وكفر
١٢٦ العبادة والقربة هما ماشرعه الله
١٢٧ ضلال الطرقية بعباداتهم وخرافاتهم
١٢٩ رفق ابن تيمية واخلاصه في امره ونهيه
١٣٠ و ١٣٤ عزمه على دخول النار
١٣١ دعاوى الرفاعية وتلبيساتهم
١٣٥ لا نتعبد بشرع من قبلنا
١٣٦ دعوى كون الباطن خلاف الظاهر
١٣٧ تعجيز شيخ الاسلام لشيخ الرفاعية
١٣٩ شرط قبوله توبة دجاجلة الرفاعية
١٤٠ كلام دجاجلتهم في أثناء الصلاة
١٤١ الاحوال الشيطانية لأهل الطريق
١٤٢ إقرار أهل الذمة على دينهم دون أهل البدع
١٤٤ دعوى الرفاعية القدرة على الايذاء

﴿الرسالة السادسة ص ١٤٧ ـ ١٦٠﴾

﴿في لباس الفتوة عند الصوفية﴾

١٤٩ سند لباس الخرقة والحديث في سببه
١٥٠ شروط لباس خرقة الفتوة
١٥١ لفظ الفتى والفتوة ومعناها
١٥٢ « الزعيم ورأس الحزب «
١٥٣ ذم الشرع للتفرق وأمره بالوحدة
١٥٤ خلق النبي (ص) مما خلق منه الناس
١٥٥ تفضيل خواص البشر على الملائكة
١٥٧ منع الغلو في الرسول وما اختص بالله
١٥٨ أخوة الايمان . مؤاخاة الصحابة
١٥٩ السماع والاخاء عند الصوفية وشرطه
١٦٠ الشروط غير الشرعية

الرسالة السابعة ص ١٦١ ـ ١٨٣
﴿ كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية الى شيخ الصوفية الشيخ نصر المنبجي ﴾
١٦٢ المحبة الايمانية والمحبة عند الصوفية
١٦٤ سورة الفاتحة بين العبد ورب
١٦٥ التوحيد وشوائب الشرك والقدر والاباحة فيه
١٦٦ طلب مقاومة القدر غير المشروع
١٦٧ التوحيد بنوعيه ومقاماته
١٦٨ أصحاب الاحوال والسكر
١٧٠ أهل الاتحاد واندساسهم في الصوفية
١٧١ رأي الشيخ ابن تيمية فى ابن عربي
١٧٢ الاتحاد والحلول المطلق والمعين
١٧٤ متحدة الصوفية هم على دين فرعون
١٧٦ الفرق بين ابن عربي والصدر الرومي والعفيف التلمساني وابن سبعين وابن الفارض والبلباني
١٧٩ تكفير شيوخ الصوفية لأهل الاتحاد
١٨١ كفر قدماء الجهمية كالاتحادية

الرسالة الثامنة ص ١٨٦ ـ ٢١٦
﴿ فى صفات الله تعالى وعلوه على خلقه ﴾
١٨٧ جملة الدين التصديق بما جاء به الرسول
١٨٩ وجوب فهم القرآن وتدبره وذم من لم يفهمه و يتدبره
١٩١ أسباب الاختلاف فى التفسير المأثور
١٩٤ الآيات والاحاديث فى علو الله تعالى
١٩٦ النصوص فى صفات الله والخروج عن دلالة ظواهرها
١٩٧ مذهب القرامطة والجهمية في الصفات
٢٠٠ موافقة العقل للنصوص في الصفات
٢٠٢ تضافر الشرع والفطرة على إثبات علو الله تعالى على خلقه لا نفيه
٢٠٤ الجهل والحيرة لا يحبهما الله لنا
٢٠٥ رأي الواقفة في الصفات والرد عليهم
٢٠٦ كلام الامام مالك في الاستواء والعلو
٢٠٧ « ائمة السلف « « «
٢٠٨ انكار الجهمية وحدهم كون الله في السماء
٢١٠ صفة علو الله على خلقه
٢١١ صفة الاستواء واليدين والنزول
٢١٢ كلام الاشعري في الاستواء
٢١٣ الاتفاق على أن الله تعالى فوق العرش
٢١٤ صفة الاستواء وصفة الكلام

الرسالة التاسعة ص ٢١٧ ـ ٢٣٢
﴿ فتاوى فقهية أخلاقية تصوفية ﴾
٢١٧ استلحاق من ولد لستة أشهر
٢١٨ ـ ٢٢٦ مسألة فى الفقر والتصوف
٢١٩ العلم والعمل لابد منهما
٢٢٠ الفقر المحمود والمذموم شرعا
٢٢١ التصوف واحترام الامر والنهي
٢٢٥ فوائد الصبر
٢٢٧ شروط عمر (رض) على أهل الذمة
٢٢٩ تحريم الوقف على معابد أهل الكتاب
٢٣٠ « مشاركة أهل الكتاب فى أعيادهم
٢٣١ « مشابهتهم
٢٣٢ التعاون على البر والتقوى